

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت
في تعليم المبتدئين
الأب متى المسكين
دير القديس أنبا مقار
في تعليم المبتدئين
في تعليم المبتدئين
هذه مجموعة من المقالات أُلقيت على الرهبان في غضون عام ١٩٨٥. ووجدناها نافعة للجميع.
نرجو من القارىء أن يقرأها بتأنٍ وبروح الصلاة والخشوع. طالباً من الله نعمة تنفيذها وتكميلها حسب ما يعطيه الروح.
(٦٥)

كتاب: **في تعليم المبتدئين.**

(مجموعة مقالات أُلقيت على الرهبان الجدد بدير القديس أنبا مقار في غضون عام ١٩٨٥. وأُعدت للنشر ككتاب لأول مرة عام ١٩٨٨.

المؤلف: **الأب متى المسكين.**

الطبعة الأولى: ١٩٨٨.

مطبعة دير القديس أنبا مقار — وادي النطرون.

ص. ب ٢٨٧٠ القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٤٨٠٠ / ١٩٨٨

المحتويات

— ١ —

في تعليم المبتدئين

□□□

١ . الصلاة

أ — عودة إلى الله

ب — والوقوف أمامه

أ — صلاة الوجه المكشوف:

وهي ما تسمى الصلاة الإرتجالية، وتقوم على أساس **الإنجيل** حتماً، لئلا نخطىء في التعامل مع المسيح.

تقوم على أساس خيرية المسيح، ومحبته للخطاة، وتواضعه، والتكفير بالدم عن كل جُرم أتاه الإنسان، وعلى أساس الآية: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم.» (متى ١١:٢٨)

وهذه تبدأ من الشكر الكثير والمتواصل على ما عمله المسيح عامة لجميع الناس على الصليب، وخاصة أنه حفظنا لنفسه حتى هذه الساعة في الإيمان والثقة والرجاء والمحبة له. لا توجد علاقة تبدأ بوجه مكشوف من الحزن واليأس. **الحزن واليأس** يساويان فقط إرادتنا التي أخطأت وأجرمت. **أما الفرح والشكر** فيساويان إرادة المسيح أن يخلص الخاطىء ولا يموت؛ و ينبعان من جنب المسيح كينبوع فرح للبشرية الخاطئة.

لا يمكن التقدم للمسيح بما هو لي فقط = بإرادتي وأعمالي وخطاياي. يتحتم للمثول

أمام المسيح أن ندخل على أساس ما عمله، وبمقتضى إرادته نحونا.

فالمسيح قاضٍ ومحامٍ معاً، ولو تقدَّمنا إليه كقاضٍ فسنموت حتماً بحسب ثقل الدين. ولو وثقنا في محاماته عنا فسنتبرأ ونحيا.

ب ــ صلاة الأجبية : أ ــ التخلص من هموم العالم.
ب ــ الوقوف في مواجهة الأهواء والشهوات ومجاذبات الجسد والأعداء غير المنظورين.

السواعي: تقسيم مراحل الزمن اليومي من وقت ميت وتحويله إلى واقع روحي أبدي.

١ . صلاة السَحَر: وتحوَّلت في الكنيسة الآن إلى صلاة نصف الليل (التسبحة) وباكر، وهي تُزامن قيامة المسيح من الأموات، فهي تمجيد وتذكار أبدي للشركة في هذه القيامة **من الظلمة إلى النور.**

٢ . صلاة الساعة الثالثة: وهي تُزامن ساعة **حلول الروح القدس.** وهي دعوة للدخول في عمق شركة أكبر قوة إلهية تساندنا في مواجهة العالم والناس والأعداء والجسد، وهو (أي الروح القدس) رفيق الصلاة أينما كانت.

٣ . صلاة الساعة السادسة: بدء صلب المسيح وتعليق جسده على الخشبة. الدخول في مفهوم صلب الجسد الحقيقي كشركة حقيقية مع المسيح تجاه الخطية بكل أنواعها، وإماتة الأعضاء على الأرض، وتحمُّل كل ألم وحرمان في سبيل ذلك، وشركة في غُصَّة آلام الصلب المريعة التي جازها المسيح عن كل واحد منا.

٤ . صلاة الساعة التاسعة: «قد أُكمل» «ونكَّس الرأس ومات»:
أ ــ تنكيس رأس الذات وكبريائها ثمناً للخطية.
ب ــ شركة الموت الحقيقي مع المسيح تجاه العالم.

٥ . صلاة الغروب: إنزال الجسد ودخول القبر:

انتهاء النهار ومحاسبة الذات، والشركة الفعلية في دخول القبر والظلام الإرادي بالنسبة للجسد الذي حتماً سيجوزه مُجبراً، والآن نجوزه بإرادتنا كشركة مع المسيح في فك الربط مع العالم والأهل والأصدقاء وكل عزاء بشري.

٦ . الستار: ستار الظلمة:

وهي تمجيد لساعات القبر الطويلة وظلامه الذي دخله المسيح موضوعاً تحت الأرض والتراب. نجوزها برجاء فجر القيامة. ولكن نجوزها كشركة واقعية بالإنسحاق القلبي والتواضع الذي هو موت حقيقي للذات التي يمثلها الجسد. فإن اشتركنا في موته نشترك أيضاً في قيامته. فالقبر هو باب القيامة.

□

هذه الساعات نكررها كل يوم ما دام الوقت يُدعى الوقت، لنحول الموت الذي فينا إلى موت حقيقي مع المسيح، وبالتالي إلى حياة، والزمن إلى خلود. وذلك ليس باقتفاء أثر المسيح في هذه الحوادث الزمنية بل كشركة فيها نعيشها بالروح والجسد، ونحن في صميم الزمن والذات والعالم ومقاومة الجسد والأعداء.

هنا نحن لا نقف أمام المسيح والآب بوجه مكشوف، بل في شركة العبد المرفوض الذي كان منظره كذا مفسداً أكثر من الناس مضروباً ومُهاناً ومذلولاً بالإرادة وبغير الإرادة. لذلك، فصلاة الأجبية بالمزامير تمهد بقوة فائقة لصلاة الوجه المكشوف أمام من أحبني ومات من أجلي لنتغير إلى تلك الصورة عينها.

صلاة الأجبية = **(...) «إن كنا نتألم معه (مع المسيح صُلبتُ)**
صلاة الوجه المكشوف = **(...) فسوف نتمجد أيضاً معه» (فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ).**

بصلاة السواعي وتكرارها المستمر = نُخضع الجسد والأهواء والشهوات وكل مجاذبات العدو لسلطان الروح، بجهاد وعرق ودموع وقرع صدر وسجود متواصل.

بصلاة الوجه المكشوف = نتقدم برجاء ثابت نحو هدفنا الأسمى وجعالتنا العظمى وهي **الإتصال بالرب** ونوال نعمته لتكميل الخلاص الموضوع أمامنا لنحيا بالقداسة والحب وبلا لوم في السلوك المقبول والمرضي أمام الله. حيث يكون فرح الله قوتنا وبهجة الخلاص عربون ميراثنا الأبدي.

وعلاقة صلوات السواعي بصلاة الوجه المكشوف يمثلها بطرس الرسول بقوله:

«وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبتُ، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار و يطلع كوكب الصبح في قلوبكم» (٢بط ١: ١٩). أي إن كلام المزامير والأنبياء يمهد بقوة إلى استعلان المسيح في القلب بثبات.

والمسيح نفسه نبّه ذهن اليهود إلى قيمة المزامير وإلى أن المسيح مُستعلن في المزامير، وأن المزامير هي بمثابة تنبؤات تنبأ بها داود بالروح القدس. وذلك يتضح بوضوح حينما حاور المسيح رؤساء اليهود بقوله: «لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربي آجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فداود نفسه يدعوه رباً فمن أين هو آبنه.» (مر ١٢: ٣٦و٣٧)

ومرة أخرى أخذ المسيح يشرح لتلاميذه بعد القيامة مفسّراً لهم عن نفسه أنه هو المسيا وعن آلامه وقيامته من موسى والأنبياء والمزامير والكتب. ولقد اعتمد بولس الرسول وكل التلاميذ بل ومعظم اللاهوتيين المزامير كمادة صلاة أساسية حتى بعد القيامة، بل واتخذوا منها أسساً لاهوتية كثيرة كالقيامة وكجلوس الإبن عن يمين الآب بعد الصعود وإخضاع كل خليقة مما في السماء والأرض تحت سلطانه وجَعْله الله فوق كل رياسة وسلطان في السماء والأرض، كل هذه وغيرها هي نصوص في المزامير أُخذت كما هي وطُبّقت على

وضع المسيح بعد القيامة بدون أدنى حذر:

— «ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني أنت آبني وأنا اليوم ولدتك. إنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد. فهكذا قال إني سأعطيكم مراحم داود الصادقة. ولذلك قال أيضاً في مزمور آخر لن تدع قدوسك يرى فساداً. لأن داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضم إلى آبائه ورأى فساداً. وأما الذي أقامه الله فلم يَرَ فساداً، فليكن معلوماً عندكم أيها الرجال الإخوة أنه بهذا ينادَى لكم بغفران الخطايا. وبهذا يتبرر كلُّ من يؤمن مِنْ كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى. فانظروا لئلا يأتي عليكم ما قيل في الأنبياء. انظروا أيها المتهاونون وتعجَّبوا واهلكوا لأنني أعمل عملاً في أيامكم. عملاً لا تصدقون إن أخبركم أحد به.» (أع ١٣: ٣٢—٤١)

— «وفي الغد فيما هم يسافرون و يقتربون إلى المدينة صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة...» (أع ١٠: ٩)

— «وصعد بطرس و يوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة.» (أع ٣: ١)

— «وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة.» (أع ٢: ٤٦)

— «لأن داود يقول فيه كنت أرى الرب أمامي في كل حين أنه عن يميني لكي لا أتزعزع. لذلك سُرَّ قلبي وتهلل لساني حتى جسدي أيضاً سيسكن على رجاء. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تَدَعْ قدوسك يرى فساداً.» (أع ٢: ٢٥—٢٧)

ولا تزال المزامير كنزاً عميقاً لكل من فتش فيها بالروح ليجد فيها شعاعاً ثميناً يضيء القلب والذهن فيما يختص بالمسيح حياتنا.

المزامير في نظر الآباء النُسّاك الأوائل:

١ — كان سفر المزامير بأكمله هو الأجبية التي يصلي بها الآباء، ولم يحددوا قط أعداد مزامير ولا أنواعاً معينة، بل كانوا يتلون في سفر المزامير متواتراً حسب ما يعطيه الروح لكل

وقت حتى يكملوه، ثم يبدأون من جديد من الأول.

٢ — لقد تسلّمنا من آبائنا أن في المزامير صوتاً إلهياً ينير الطريق أمام الساعين، خاصة تجاه مقاومة الأعداء. فالمزامير كُتبت بالروح القدس، لذلك فهي قوة روحية نستطيع أن نتمسك بها قبالة محاربات الشيطان، لذلك تحددت لتكون الأساس الأول الذي تقوم عليه الصلاة بساعاتها.

المزامير في الترتيب الكنسي:

لقد أخذت المزامير مكاناً أساسياً في جميع الصلوات، فهي ترافق الإنجيل أينما وحيثما قُرىء في إقامة جميع الأسرار وفي رفع بخور باكر وعشية وفي إنجيل القداس. فلا يُقرأ الإنجيل قط في الكنيسة دون أن يُقرأ المزمور المناسب له أولاً:

وحتى في الأعياد السيدية التي لا يُصلّى فيها بالأجبية، نجد أن العمود الفقري في التسبحة هو المزامير سواء في هوس العيد أو التسابيح الأخرى.

أما في جمعة الآلام، فتكاد ألحانها كلها تتخذ مادتها من المزامير، وقراءة المزامير تحتل اللحن الأكبر في خدمات السواعي جميعاً.

وهكذا نرى أن المزامير هي روح الخدمة، ومادة غزيرة للعبادة.

□□□

٢ . السجود

١ — «اسجدوا لله يا جميع ملائكته» (مز٩٦: ٧). الملائكة تسجد لله — وأرواح القديسين المكمّلين في المجد والشيوخ الأربعة والعشرون يسجدون أمام الحي إلى أبد الآبدين. فالسجود لائق حتى في السماء، وهو مفروض على جميع الأرواح.

٢ — والوصية الإلهية المخصصة للعبادة لله الحق هي «لله وحده تسجد» (متى

٤: ١٠) والتي أعادها المسيح بتأكيد وذلك بالنسبة للإنسان، أي سجود ذوي الأجساد، ولكن هذا السجود يتحتم أن يكون بالروح والحق وإلا لا يُحسب عبادة إن كان بالجسد فقط.

٣ — السجود عملية سرية للغاية تهمّ الله إلى أقصى حد. هذا السر أعلنه المسيح بقوله: «الله طالبٌ مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو٤: ٢٣و٢٤). **هنا الله يطلب أن يُسجد له**، وكأن في السجود لله باباً مفتوحاً يدخل منه الروح ليكمل مشيئة الله. وكأن بغير السجود لله بالروح والحق يصعب تحقيق عمل نعمة الله في الإنسان. لهذا يشدد الله على هذا الطلب لا من أجل نفسه بل من أجل تكميل عمل نعمته في الإنسان الذي أحبه الله ومسرة الله في بني الإنسان (أم٨: ٣١).

٤ — المسيح قَبِل سجود الأعمى فكان سبب نعمة إضافية لهذا المنعَم عليه بالبصر الجسدي. كما قَبِل سجود المرأة الخاطئة التي بلّت قدميه ومسحتها بشعر رأسها، فاعتبر هذا السجود الممزوج بالتواضع الشديد والإنسحاق إعلاناً عن محبة صادقة وكثيرة مكتومة في القلب «أحبت كثيراً».

وبهذا كله أعلن المسيح جدارة ألوهيته لأنه هو هو الذي قال مردّداً الوصية الأولى «لله وحده تسجد وإياه تعبد».

فالسجود يليق بالثالوث الأقدس الآب والإبن والروح القدس، لأن ردَّ فعل كلٍّ منهم مكمِّل للآخر. الآب يهب محبته، والإبن يهب نعمته، والروح القدس يهب شركته وموهبته [محبة الله الآب ونعمة الإبن الوحيد وشركة وموهبة الروح القدس]. لذلك جيد أن نسجد ثلاث سجدات أمام الله، فهذا يزيد الرصيد لحسابنا.

٥ — إن كان السجود بالروح والحق يعبّر عن العبادة الصادقة لله الحق وله ردُّ فعل روحي وهو سكْبُ عطايا ونعم الثالوث، فسجود الجسد يُعتبر عمل خضوع وانسحاق

حيث يعفِّر الإنسان جبينه بتراب الأرض عوض الدموع التي مسحت بها الخاطئة أقدام الرب. لذلك فهو تعبير عن توبة خالصة، لذلك يسمى السجود في طقس العبادة بـ «الميطانية»، أي التوبة والعودة العاقلة بالحب إلى الله. وتوبة الخاطىء تُفرح كل ملائكة السماء وبالتالي قلب الله. أما رد فعلها فهو الغفران الكثير: لأنها أحبت كثيراً غُفر لها كثيراً.

٦ — السجود، والسجود الكثير المتواصل عمل يضايق الشيطان جداً. وكما يقول مار إسحق، فهو يُرعب الجن، لأن الشيطان يشتهي أن يُطاع هو وأن يسجد له الناس، كما حاول جاهداً مع المسيح نفسه، فكم بالحري مع الضعفاء؟

لأن كل سجود وعبادة صادقين بالروح والحق لله هو جحد علني للشيطان وكل أعماله وأفكاره. فكأن كل مرة نسجد فيها لله نجحد الشيطان ونرذل كل عمله وفكره وإرادته.

كذلك فالسجود المتواتر بانسحاق وتعفير الوجه وضرب الرأس في الأرض هو عودة صادقة عاقلة إلى الله بالتوبة عن كل ميل أو شهوة أو قبول لمشورة الشيطان، فهو بمثابة حرق أوراق كل عقد صنعناه مع الشيطان بقبولنا أفكاره ومشوراته.
من هنا جاء تقرير مار إسحق أن السجود مُرعبٌ للجن.

٧ — الجسد ليس له ما يقدمه لله في الصلاة كشركة في عبادة الروح إلا السجود الكامل إلى الأرض. وهكذا نحن نكرم أجسادنا بالسجود لتكون في شركة وتوافق مع الروح في عبادة الله — هذا يضايق الجسد جداً في بداية الأمر، ولكنه إذ ينال كرامة من الله يحس ويخضع للسجود بفرح والتهاب، ويُعان بالروح، فلا يعود يتململ. وهكذا فإن السجود يُخضع أعضاء الجسد ويستذل الشهوة فيه ويهدىء من حركاته؛ وبالتواتر يُطفىء حرارة الشهوة إن كان يلازم السجودَ صومٌ أيضاً.

لذلك يستحسن رجال النُسك الذين دبّروا أمور العبادة أن لا يكون سجود إلا أثناء

الصوم، ولا يجيزون السجود مع امتلاء البطن.

٨ — كذلك وإن كان السجود يُحسب كعمل روحاني، فهو بالضرورة بالنسبة للجسد تذلُّل وانسحاق، لذلك لا يجيز الآباء عمل الميطانيات بصفة التوبة إلا في أيام الصوم، ويُحتِّمون بتوقُّفها في أيام الأعياد السيدية الكبيرة والمناسبات المفرحة كالسبت والأحد (حيث السبت يبدأ من بعد غروب يوم الجمعة والأحد يبدأ من غروب يوم السبت، وينتهي في غروب يوم الأحد). ففي هذه الأيام لا تجوز أعمال الحزن والتذلل بل أعمال الفرح والشكر.

٣ . الهذيذ اليومي بقراءة الإنجيل

وهو المدخل الرسمي لخلق المَلَكَات وانفتاح البصيرة الروحية .

الهذيذ في الإنجيل هو ترديد الآيات مع التمعن في عمق معناها مرات ومرات حتى ترسخ في الذهن والتصور العقلي ، لأن أثناء القراءة ثم التلاوة غيباً مع التمعن يتكون لمعنى الآية صورة ذهنية حية يلازمها أحياناً خلفية مرافقة لواقع الآيات وظروفها . فإذا كانت عن الميلاد ، تتكون صور للمكان والزمان والأشخاص . هذه الصور تجعل الآيات شديدة التأثير على الذاكرة ، كما تجعل الآيات ذات صبغة حية مفرحة ومعزِّية للنفس جداً . وهكذا ، فالهذيذ بآيات الإنجيل يحوّل الإنجيل إلى صور ذهنية حية .

فإذا ما استمر الناسك في الهذيذ بالإنجيل ، ارتبطت الآيات ببعضها لتأخذ معنى أعمق وتصوُّراً أشمل مما يأخذه الإنجيل من مجرد القراءة . فالهذيذ يخلق معاني جديدة من ارتباط الآية بالأخرى والموقف بالموقف . وهنا يبدأ الإبداع الذهني في تكوين مفهومات جديدة عميقة نابعة من صُلب الآيات ومرتبطة بها .

والمشتغل النشيط بالهذيذ بالإنجيل يواجه في بداية الأمر ضغطاً على العقل المتكاسل الذي لم يكن يخرج خارج حدود المقروء ، ولكن بالإستمرار ينفكُّ هذا الضغط و يكتسب الذهن نشاطاً وقدرة جديدين للجري وراء المعاني الجديدة ، لأنها تشكل له سعادة جديدة ما بعدها سعادة .

ومن كثرة توارد المعاني الجديدة والعميقة من ترابط الآيات وتصوُّرها الذهني وربطها بغيرها مما اختزن العقل تنشأ ملكة جديدة للإنسان هي البصيرة النيِّرة ، أي ارتفاع الذهن فوق حدود المفهومات العادية ليرى مفهومات أعمق وأعلى تعطي للإنسان قدرة جديدة على فهم الإنجيل بصورة أعمق ، وتنتقل هذه المَلَكة من حدود الإنجيل لتشمل كل ما يقرأ و يسمع غير الإنجيل ، أي يصير للإنسان قدرة جديدة على فهم أمور الحياة بصورة

أعمق وأدق وأصدق وأوسع مما كان لديه . وهذه هي البصيرة النيِّرة المميزة للإنسان الروحاني .

ومن هذا نُوَعِّي الراهب الجديد أن قراءة الإنجيل شيء والهذيذ بالإنجيل شيء آخر وهو يختلف تماماً عنه . فقراءة الإنجيل مهما كانت مرتَّبة و بفهم و بكثرة ، لا تعطي أكثر من معرفة ثابتة بالإنجيل والآيات ، ولكن الهذيذ بالإنجيل يمتد بمعرفة الإنجيل إلى معرفة متجددة ومتعمقة ومتسعة و بلا حدود .

كذلك فقراءة الإنجيل بكميات محدودة يومياً ، وحتى بمحاولة حفظ الآيات ، لا تعطي الإنسان أكثر من مَلَكة حفظ الآيات وسردها بسهولة على الآخرين ، ويمكن نسيانها بعد مدة ؛ أما الهذيذ بالإنجيل فيطبع معاني الآيات والكلمات على قلب الإنسان لتلتصق به وتصير جزءاً من تفكيره وحياته وسروره : «وُجد كلامُك فأكلته ، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي» (إر١٥ : ١٦) . أي أن القراءة تحوّل الإنجيل إلى معرفة ، أما الهذيذ فيحول الإنجيل إلى حياة مُعاشة .

والهذيذ يختلف عن التأمل ، فالهذيذ سهلٌ ويختص بالمبتدئين في الطريق الروحاني ، مع أنه ذو قدر عظيم في بناء الذهن الروحي وتقدُّم الإنسان في الطريق بسرعة وعمق وثبات مدهش .

أما التأمل فهو يخص المتقدمين جداً في الطريق الروحاني لأنه عملية حرَّة . فالتأمل في مستوياته الأولى يكون في أعمال الله في الخليقة وفي أحوال النفس وعلاقات الله مع الإنسان عامة وفي الفداء والقيامة والحياة الأبدية خاصة . وفي مستوياته المتوسطة يكون التأمل في الخلائق السماوية غير المنظورة — أي الملائكة وأعمالهم معنا وعلاقة الأرواح القديسة بالله والعالم .

أما في مستوياته العليا ، فيكون التأمل في الله ذاته وفي طبيعته وأقانيمه وصفاته ، لأن

«الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله» (١كو٢: ١٠). وهنا كلمة «حتى» تفيد النهاية العظمى لإمكانية كشف الإنسان في أمور الله.

ولكن التأمل، وبالرغم من أنه حرٌّ، إلا إنه يكون ملتزماً جداً بأصول اللاهوت وبحرفية الإنجيل وبدقائق العقيدة، وإلا فإن الإنسان يخرج عن الحدود الأرثوذكسية السليمة ويكون التأمل حينئذ وبالاً على الإنسان.

أما الهذيذ، فهو أبسط وأكثر محدودية والتزاماً بالإنجيل ومطبّقاً على الآية، ولا يخرج عن حدود الإنجيل والمعاني الصحيحة للآيات. لذلك فهو يكاد يكون طريقاً آمناً غاية الأمان للبسطاء والمبتدئين ومدخلاً رسمياً لأعماق الإنجيل.

— ولكن ينبغي للدخول في الهذيذ أن يكون الذهن صافياً غير مرتبط ولا مهموم بشيء، وأن يكون الإنسان جادًّا في هذيذه ملتزماً بمعاني الآيات، قادراً أن يفرح ويستبشر بمواعيد الله يثق فيها ويعتمد عليها فتصير نفسه وعاءً صالحاً لعمل نعمة الله التي تنسكب على كل قارىء نشيط في إنجيل نعمة الله.

— ولكي يأتي الهذيذ بثماره الثمينة، يتحتم أن يختار الإنسان إنجيلاً بأكمله ليجعله هذيذه المستمر، حتى يفرغ منه؛ أو رسالة من الرسائل حتى يكملها.

— ومِنْ أحبِّ الأناجيل للهذيذ إنجيل يوحنا؛ وأما الرسائل فأكثرها فاعليةً وقوةً رسالتا أفسس وكولوسي. وهذا لا يعني أن بقية الأناجيل والرسائل تخلو من مسرات وأعماق وأسرار غاية في الأهمية والعمق.

□□□

— ٢ —

الفشل والنصرة، ضعف الإيمان وقوة الإيمان

□□□

١ — أسباب الفشل والإنغلاب للخطية، وقيمة الإعتراف عنها:

١. إن نجاحنا ونصرتنا يعتمدان اعتماداً كلياً على عمل الله المباشر في القلب نتيجة أمانتنا وقُربنا منه: «اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم.» (يع٤: ٨)

وفي حال فقداننا لأمانتنا لله نفقد في الحال الحضرة الإلهية أو الوجود مع الله، فتنسحب قوة الله منا، فنتعرض للهزيمة أمام العدو، ونفقد بصيرتنا، وتتوقف الحكمة عن عملها في قلوبنا، فنتخبط في أخطاء وراء أخطاء. والمثل العملي الذي وضعه الله هو انهزام شعب إسرائيل أمام أهل قرية عاي. والسبب قاله الله: «في وسطك حرام يا إسرائيل فلا تتمكن للثبوت أمام أعدائك»، «ولا أعود أكون معكم إن لم تبيدوا الحرام من وسطكم.» (يش٧: ١٢و١٣)

«قد أخطأ إسرائيل بل تعدَّوا عهدي الذي أمرتهم به، بل أخذوا من الحرام (بسبب شهوة القنية ولذة التملك) بل سرقوا بل أنكروا بل وضعوا في أمتعتهم.» (يش٧: ١١)

٢. إن عدم الطهارة للذي كرس حياته لله هو بمثابة تعدٍّ على عهد الله وسرقة ما كان قدَّمه لله على مذبحه المقدس يوم قدَّم حياته.

٣. كذلك فإن عدم الصلاة والإنصداد عن تتميم وصايا العبادة، يُحسب للإنسان المكرس أنه ارتداد عن الشركة مع الله الحي، وانتكاسة إلى الإعتماد على النفس دون الله

وعلى مجرد الأعمال دون الإيمان الحي: «حاشا لي أن أُخطىء إلى الرب فأكفُّ عن الصلاة من أجلكم» (١صم١٢: ٢٣). هنا الكفُّ عن الصلاة يظهر كخطية موجهة إلى الله. ولكن «البار بالإيمان يحيا وإن ارتدَّ لا تُسَرُّ به نفسي» (عب١٠: ٣٨). لذلك، فإن توقُّف الصلاة الحارة وعدم التمسك بالشركة مع الله في ثقة الإيمان يمهد لابتعاد الله وسحب قوته ومعونته، فينهزم الإنسان المتَّكل على نفسه أمام المواقف التي يسوقها العدو بإصرار ليوقعنا في الخطأ والخطية، فتنكشف حياتنا أنها بلا سند وأننا عراة من ثوب النعمة.

٤. كذلك، فإن عدم الإعتراف بالخطية يقف حائلاً منيعاً ضد عودة الله إلى سُكنى القلب، فيظل الإنسان يعاني من جفاف الحياة وفقدان فرح الشركة مع الله. وهنا أيضاً فإن قصة انهزام شعب إسرائيل أمام عاي هي المثل القوي الذي يوضح استمرار غضب الله حتى ينكشف سبب الخطية والحرام الذي فينا انكشافاً علنياً، و يتم الجزاء عنها، وحينئذٍ يعود الشعب إلى قوته ونصرته بحضور الرب.

لذلك، فإن التضييق على النفس حتى تقرَّ بخطيتها وذنبها لا مفرَّ منه حتى يعود الله إلى رحمته ويهب قوته لنا مرة أخرى.

إن دم المسيح دُفع غالياً ثمناً لكل خطية، ولكن أية خطية ؟؟؟ الخطية التي نعترف بها بانكسار وحزن وندم «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا و يطهرنا من كل إثم.» (١يو١: ٩)

٢ ـ أسباب النصرة ودوامها، والتمتع بها:

لا يوجد انتصار حقيقي يذوقه الإنسان و يتمتع به إلا و يكون الله نفسه داخل القلب، والله يكره الخطية، لذلك يتحايل علينا بكل الطرق لكي نتعرف على سبب سقوطنا فنقوم ونعود إليه: «فاذكر من أين سقطت وتُبْ واعملْ الأعمال الأولى وإلا فإني آتيك عن قريب وأُزحزح منارتك من مكانها إن لم تَتُبْ» (رؤ٢: ٥)، «أنا عارف أعمالك أنَّ لك آسماً أنك حي وأنت ميت. كُنْ ساهراً وشدِّد ما بقي (ضعف الجسد)

الذي هو عتيد أن يموت لأني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله. فاذكر كيف **أخذتَ وسمعتَ واحفظْ وتُبْ**، فإني إن لم تسهر أُقدم عليك كلص ولا تعلم أية ساعة أُقدم عليك (كلصٍّ)» (رؤ٣: ١ـ٣). هذه التهديدات كلها تأتي من مصدر حب الله العجيب الذي لا يود أن يموت الخاطىء بخطئه بل يتوب ويحيا.

فالله يهددنا فعلاً، لا لأنه يكرهنا بل لأنه يكره الخطية التي لبسناها فسترت وجهه عنا، فلم يَعُدْ يرانا ولا نراه مع أنه يحبنا ودفع ثمن خلاصنا و يريد أن نتمتع بعشرته ونفرح به و بقوته «لأن فرح الرب هو قوتكم» (نح٨: ١٠)، «لذَّاتي مع بني آدم» (أم٨: ٢١)، «وفي الناس المسرة» (لو٢: ١٤). إن دوام النصرة معناه دوام وجود الله وفرحه وقوته داخل قلوبنا وعقولنا. وهذا يحتم دوام السهر والتفتيش داخل كل مداخل النفس ومخارجها وكل ما يتحرك في قلوبنا وأفكارنا حتى لا نعطي أي فرصة للعدو أن يزرع زوانه لا في الفكر ولا في القلب، فنفقد عِشرة الله وتغادرنا قوته و يتوقف تهليلنا وفرحنا وبهجة خلاصنا و يضيع تكريسنا سدىً، لأنه يستحيل أن نعاشر الله ونداعب الخطية أو نرتشف من كأس المسيح وكأس الشيطان معاً. إن دوام النصرة هو هو دوام التوبة، ودوام السهر على القلب والفكر ودوام الصلاة.

الرب يسوع أوصى أن **نصلي كل حين** لا لشيء إلا لنعيش في سر وجوده وقوته وفرحه كل حين. وحذرنا أيضاً: «آسهروا وصلُّوا لئلا تدخلوا في تجربة» (متى٢٦: ٤١). فلا حصانة لإنسان من التجربة إلا بالصلاة، والصلاة الدائمة في القلب بحضرة الرب هي لهيب نار تحرق الشهوات وكل ملذَّات الجسد. والرب قال: «جئت لأُلقي ناراً على الأرض.» (لو١٢: ٤٩)

والعجيب أن القديس بولس الرسول يكشف سر ارتباط **الصلاة بالفرح والشكر** في وصيته الثمينة: «آفرحوا كل حين؛ صلُّوا بلا انقطاع؛ اشكروا في كل شيء» (١تس٥: ١٦ـ١٨)، فإن دوام الفرح ينبع من دوام النصرة الذي يدفع النفس لدوام الشكر. والسلاح الوحيد هو الصلاة بلا انقطاع. **ولا يقطع الصلاة الحقيقية إلا**

الخطية. أما العمل في الخير وللغير مهما طال فهو لا يقطع الصلاة.

ولا يطفىء نارَ الحب الإلهي المتولِّدة من حضرة الرب إلا شهوةُ الجسدِ وشهوةُ العيون وتعظُّمُ المعيشة، لأن «محبة العالم عداوة لله.» (يع ٤ : ٤)

إذن، فسِرُّ النصرة الدائمة في متناول أيدينا، لأن الرب يدعونا إليها كما بعهد: «ها أنا معكم كل الأيام» (متى٢٨ : ٢٠)، «لا أترككم يتامى» (يو١٤ : ١٨)، «قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى» (يو١٣ : ١). والقديس بولس الرسول الذي اعتبر نفسه أول الخطاة تيقَّن من وعد الرب هذا فقال واثقاً: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني.» (في ٤ : ١٣)

٣ ــ ضعف الإيمان وأسبابه وعلاجه:

يوجد إيمان خامل أو خامد، وهو إيمان ميت بارد. و يوجد إيمان عامل أو حار، وهو الإيمان العامل بالمحبة الملتهبة. و يوجد إيمان فاتر، لا هو بارد ولا حار، فهذا هو الذي قال عنه سفر الرؤيا إن الرب مزمع أن يتقيَّأ صاحبه (رؤ٣ : ١٦).

أما الإيمان الأول فهو الذي يقول عنه سفر الرؤيا: «أن لك آسماً أنك حيٌّ وأنت ميت» (رؤ٣ : ١). وأعراض هذا الإيمان البارد أن صاحبه ينصدُّ عن الصلاة كلية، وكلما يعزم على الصلاة لا يجد فيه قوة لا للوقوف ولا حتى لفتح فمه. هذا الإنسان قد ربطه العدو بأفكار مسمومة فجعله يشك في محبة الله، وحتى في وجوده، ولو بالنسبة له؛ و يصوِّر له العدو أن الله تركه وأهمله وأنه غير منظور ولا محبوب. فأقنعه أن لا قيمة لصلاته، و بناءً عليه فلا داعي لها.

ولكن هذه صورة حزينة لطغيان الشيطان على القلب الضعيف، فالله لا يهمل لا الضعيف ولا الخاطىء الغارق في خطيته: «لا أهملك، لا أتركك.» (يش ١ : ٥)

والله يخاطب هذا الميت في سفر الرؤيا الذي له آسم حي وهو ميت بالفعل، يخاطبه

على أنه حي وليس ميتاً وأنه عزيز وغالٍ عنده؛ لذلك ينتهره ويحذره أن يقوم من نوم غفلته و ينزع عنه غشاوة العدو ويخاطبه قائلاً: «أنا عارف أعمالك أن لك آسماً أنك حي وأنت ميت. كن ساهراً وشدِّد ما بقي (ما بقي لك من أيام وقوة جسد) الذي هو عتيد أن يموت (فلا ترحمه) لأني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله (سر موته). فاذكر كيف أخذتَ (الإسم والتعليم الأول)؛ وسمعتَ (كلمة الخلاص والوعظ)؛ واحفظْ (أقوال الله الحية ومبادىء الإيمان)؛ وتُبْ (أي ارجع إلى مبتدأ حياتك وحرارتك الأولى)؛ فإني إن لم تسهرْ (لتسترجع إيمانك الأول) أُقدِمُ عليك كلص» (حيث لا توبة بعدُ، بل ندمٌ قاتل) (رؤ٣ : ١ ــ ٣).

لاحظ هنا، أيها الأخ المبارك، أن الرب لا يوافق على حالة الموت هذه، بل يشجع صاحبها للعودة إلى مبتدأ الأيام الأولى، أيام الأخذ بنَهَم من تعاليم الحياة الأبدية وسماع كلمات الوعظ بفرح ونشاط وحفظ أقوال الله الحية، ويحمِّسه بشدة وتحذير على السهر للعودة إلى الله.

ولكني أخاطب رهباناً جداً، فلا مجال لوجود ميت هنا، بل نحن على عتبة الطريق وفي مستهل الجهاد والحرارة والحب والجري وراء الرب بكل القوة والقدرة.

إذن، نعود سريعاً إلى أصحاب الإيمان الضعيف لنقول: إن الإيمان يسير مع الصلاة سيراً مطَّرداً، أي كلما زاد الإيمان زادت الصلاة، وكلما زادت الصلاة زاد الإيمان. فترمومتر الإيمان الذي يقيس حرارته هي الصلاة، لا بكميتها ولا بكثرتها ولكن بحرارتها وصدقها ووقارها. غير إنه لا توجد صلاة حارة قصيرة. إذن، فعلامة الإيمان الضعيف هي الصلاة الضعيفة الهزيلة. وألا نستحسن أن نقف أمام الله كل حين، و بالتالي لا نجد الله أمامنا أو عن يميننا كل حين. وفي الضيقة لا نلتفت إليه فلا نحس بوجوده فلا نطلبه أو نصلي إليه. و بعد الضيقة لا نشعر بتدخله فلا نشكره، وهكذا لا تعود الصلاة ضرورة حياة واتصال بل فَضْلَة وقت وأداءَ واجب نستثقله فلا نتقنه. وتظل صلتنا بالله على السطح تحركها الظروف وأهواء النفس ليس لها مسار ولا هدف ولا ترتبط برباط

حقيقي مع الله مما يكشف عن ضعف أصحاب الإيمان.

وما هو السبب في ذلك؟

إن المريض تظهر عليه أعراض مرضه التي بواسطتها يشخِّص الطبيب المرض و يصف الدواء. فضعف الإيمان الذي كشف عنه ضعف الصلاة وهزالها والفشل المتكرر في النهوض بها، هو عَرَضٌ واضح وخطير لمرض روحي أصاب الإنسان في الصميم، فجعل حياته الروحية خائرة هزيلة.

والأمراض الروحية التي يتسبب عنها ضعف الصلاة هي:
أ — انغماس مشاعر الإنسان في أمور دنيوية، مثل كثرة التسلية واللعب (الهزار) والضحك والثرثرة في مواضيع ميتة لا علاقة لها بخلاصنا، وإهمال ما لله. «محبة العالم عداوة لله.» (يع ٤: ٤)

ب — التعوُّد على النميمة قولاً وسماعاً والإشتراك في دينونة الآخرين والغضب والتذمر والنقد والحقد على الآخرين من جهة أعمالهم أو أقوالهم أو تصرفاتهم بلا خوف من الله. «لا تَدينوا لكي لا تُدانوا.» (متى ٧: ١)

ج — الإنغماس في كثرة الأعمال غير المطلوبة منا، فكل الأعمال لا بأس بها إن كانت تأتي بعد طلب ملكوت الله؛ كذلك التمادي في تضييع الوقت الذي يكشف عن هروب النفس من مواجهة حقيقتها بالصلاة أمام الله هو نوع من العصيان المقنّع تجاه الله، الذي يكشف عن انهيار في قوى الإيمان. «ارجعوا إليَّ أيها البنون العصاة فأشفي عصيانكم.» (إرميا ٣: ٢٢)

د — الإنغماس في شهوة البطن أو شهوة النجاسة بكافة صورها الفكرية التصوُّرية أو الحسِّية بالعين للتلذذ برؤيا الأعضاء للذات أو للغير أو اللمس أو اليد أو التحايل بكافة الوسائل لإشباع اللذة. لأن بمجرد تفريغ الطاقة الوجدانية لإشباع ملذات الجسد لا يبقى في الروح قوة للوقوف أمام الله ولا جراءة للدخول إليه بل يخيِّم على الشعور واللاشعور

خزي عظيم يخرس اللسان عن النطق بالصلاة و يكشف عن أن قوى الإيمان قد سُرقت وتبددت بمهارة العدو و برضى الإنسان، وأننا أحزنَّا روح الله القدوس.

هـ — تكرار محاولة الكف عن هذه الخطايا وغيرها دون قطع دابر أصولها وهي: محبة العالم، ومحبة الجسد، والميل إلى التلذذ بأنواعه، والعطف على الذات، وإلقاء اللوم على الآخرين (وهذا أخطرها) ينشيء شيئاً فشيئاً نوعاً من اليأس. فإذا وقف الإنسان عند محطة اليأس وهي البالوعة التي ابتلعت الملايين، وإذا ارتضى الإنسان واقتنع أنه لا فائدة من المحاولة ولا رجاءَ في توبة قوية فعالة ينفض فيها كل هذه الأوهام والأكاذيب التي وضعها الشيطان في قلبه وكأنها حقائق، فإن الإنسان يدخل بإرادته في الظل لتختفي عنه شمس الحياة وإشراقها وبهجتها و يرتضي بالضعف، ضعف الإيمان وضعف الصلاة وضعف العبادة، مع أن القوة الإلهية كلها في يده.

— «لقد جعلت قدامك الحياة والموت... فاختَرْ الحياة لكي تحيا...» (تث ٣٠: ١٩)
— «اهرب لحياتك.» (تك ١٩: ١٧)
— «دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب ونادِ بملكوت الله.» (لو ٩: ٦٠)
— «إن آمنتِ ترين مجد الله.» (يو ١١: ٤٠)
— «لعازر هلمَّ خارجاً.» (يو ١١: ٤٣)

وهكذا فإن الإيمان يغلب كل المستحيلات حتى الموت.

— «أما البار فبالإيمان يحيا وإن ارتدَّ لا تُسرُّ به نفسي، وأما نحن فلسنا من الإرتداد للهلاك بل من الإيمان لإقتناء النفس... فلا تطرحوا ثقتكم التي لها المجازاة العظيمة، لأنكم تحتاجون إلى الصبر، حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد.» (عب ١٠: ٣٨و٣٥)

— **«انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في**

الإرتداد عن الله الحي، بل عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يُدعى اليوم **لكي لا يُقسَّى أحد منكم بغرور الخطية**. لأننا قد صرنا شركاء المسيح إنْ تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية.» (عب ٣: ١٢و١٣)

ـــ «فلينظر كل واحد» (إلى قلبه)؛ و« **يمتحن الإنسان نفسه**... هل أنتم في الإيمان.» (١كو٣: ١و١١: ٢٨؛ ٢كو١٣: ٥)

٤ ـــ عناصر قوة الإيمان ومفاعيله:

عناصره:

الإيمان كما عرَّفه الوحي الإلهي على فم القديس بولس الرسول هو:

ـــ «الثقة بما يُرجى،

ـــ والإيقان بأمور لا تُرى.» (عب ١١: ١)

أي إن الإيمان، عناصره تأتي على شِقَّين: الأول أساس، والثاني بناءٌ على هذا الأساس.

الشِقُّ الأول: أي الأساس = الثقة ـــ واليقين.

الشِقُّ الثاني: وهو الموضوع، و يشمل بالنسبة للثقة: الأمور التي نرجوها،

أما بالنسبة لليقين فيشمل الأمور التي وعد بها الرب ولا تزال غير منظورة.

الشِقُّ الأول: أساس الإيمان:

وهذا التقسيم لم يأتِ جزافاً، بل يوضح أن أساس الإيمان لابد أن يكون راسخاً رسوخ الجبال: ثقة و يقيناً.

ـــ فأنت تثق في الشيء الذي ترجوه وكأنك تمتلكه أو تمسكه بيدك، أو هو رهن إرادتك وكأنه مرتبط بك أو أنت مربوط فيه، يسير إليك كما تشاء بغير أدنى خلاف أو شك.

ـــ كذلك فأنت متيقن من الأمور التي وعد بها الله يقينَ من يراها مع أنها غير منظورة، و يقينَ من قد حصل عليها وهي لا تزال في حيز الآتي، و يقينَ من يفرح بها و يسعد ولو لم يلمسها بيده.

ولكن من أين يأتي هذا الأساس الذي يبدو أنه صعب ومستحيل؟ أي من أين تأتي **الثقة واليقين** (لأمور غير موجودة وغير منظورة)؟

بادىء الأمر نقول إنه ليس في وسع الإنسان ولا في مقدوره أن يثق بإنسان مثلاً إذا لم يكن يعرفه جيداً أنه أهل للثقة؛ كما إنه مستحيل على الإنسان أن يتيقن بامتلاك شيء غير منظور إلاّ إذا أخذ وعداً من شخص مقتدر جداً يمنحه هذا الشيء.

إذن، فالثقة في موضوع الإيمان تتعلق بشخص المسيح نفسه. فأنا أثق في الأمور التي وضعها المسيح لتكون هي موضوع الرجاء للإنسان ثقة مطلقة دون أدنى شك، لأن المسيح صادق وأمين بشرط أن أيَّ خلل أو ضعف في الثقة بما يُرجى يكون بمثابة طعنة في شخص المسيح أنه ليس أهلاً للثقة.

كذلك فإن **اليقين** بموضوع الإيمان الذي يتعلق بوعد المسيح بخصوص الأمور الآتية، وهي غير منظورة الآن، يتوقف على اقتدار المسيح في العطاء وصدقه في الوفاء بوعده، بحيث أن أي ضعف أو خلل في اليقين بالأمور التي لا تُرى يكون بمثابة طعنة في اقتدار المسيح وصدقه في الوفاء بالوعد.

وهكذا نرى أن **أساس الإيمان القوي، أو عناصره الأساسية، ينشأ من ثقتنا في شخص المسيح من جهة صدقه وأمانته، كما ينشأ من يقيننا باقتداره ووفائه بإعطاء ما وعد.**

أو باختصار، فإن الإيمان هو: الثقة **بشخص المسيح**،
واليقين **بوعده**.

وهنا تصبح المعادلة سهلة وحتمية، فليس من فراغ ولا من عنده يأتي الإنسان بالثقة واليقين، ولا حتى لو تعلّق من جفون عينيه؛ ولكن الثقة واليقين بالنسبة للإيمان إنما ينبعان فينا من شخص المسيح المبارك، فهو الإله الأمين المقتدر القادر أن يفي بما وعد. فحينما نؤمن بالمسيح تنمو فينا الثقة بما يُرجى و ينمو فينا الرجاء بالأمور التي لا تُرى.

□

الشقّ الثاني: موضوع الإيمان نفسه:
أي ما هو؟ «**ما يُرجى**»؟ وما هي الأمور التي لا تُرى؟

أولاً: ما يُرجى:
الرجاء الأعظم لنا هو «**الحياة الأبدية**».

فنحن نشق ونتألم في هذا العالم، ونصلي، ونبكي، ومستعدون أن نخسر كل شيء لربح الحياة الأبدية.

فالموت هو ربح، وأن أكون مع المسيح ذاك أفضل جداً (في ١: ٢١و٢٣). علماً بأن الحياة الأبدية لا يمكن تعريفها ولا فصلها عن المسيح. «فالمسيح حياتنا» (كو٣: ٤)، «والمسيح رجاؤنا» (١تي ١: ١). والمسيح نفسه عبّر عن هذا التعريف بقوله: «أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي... فلن يموت.» (يو١١: ٢٥و٢٦)

إذن، فعنصر الإيمان الموضوعي الأول هو الحياة الأبدية القائمة في المسيح والتي ننالها منه بشركتنا معه. فنحن حينما نؤمن بالمسيح نحيا معه الآن في شركة هي عربون الشركة العظمى في الحياة الأبدية.

لذلك، فإن أساس هذا الشق الموضوعي من الإيمان يتطلب الثقة العظمى والمطلقة التي لا تقبل البحث أو التحليل أو المفاوضة مع العدو. فنحن نؤمن بالمسيح، لذلك نثق

بالحياة الأبدية كموضوع رجاء نتمسك به حتى الموت.

ثانياً: الأمور التي لا تُرى:

كان إيمان إسرائيل بالله في العهد القديم وإيقانهم الضعيف برؤية أرض الموعد ودخولهم فيها قائماً على رؤية الله وهو حالٌّ على جبل موسى والجبل يدخّن و يضطرب و يتّقد بالنار. و يقول الوحي الإلهي على فم القديس بولس الرسول:

(إيمان العيان) — «لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق وصوت كلمات، استعفى الذين سمعوه من أن تُزاد لهم كلمة لأنهم لم يحتملوا ما أُمر به»

(الإيمان بما لا يُرى) — «بل قد أتيتم إلى جبل صهيون (السمائي) وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وإلى الله ديان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكمَّلين، وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل.» (عب١٢: ١٨—٢٠؛ ٢٢—٢٤)

ونلاحظ هنا أن إيمان شعب إسرائيل الذي كان قائماً على العيان — أي المنظور والملموس — لم ينفعهم، إذ ارتدُّوا واستعفوا، أي رفضوا الكلام المسموع.

وهنا يحذرنا القديس بولس الرسول نحن الذين كلّمنا الله في ابنه ووعدنا، لا بأرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً، بل بميراث كنعان السماوية وأورشليم السماوية ومُلْكِه الأبدي ما لن يزول:

— «أنظروا أن لا تستعفوا من المتكلم. لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلّم على الأرض، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدّين عن الذي من السماء الذي صوته زعزع الأرض حينئذ، وأما الآن فقد وعد قائلاً إني مرة أيضاً أُزلزل لا الأرض فقط بل السماء

أيضاً. فقوله «مرة أيضاً» يدلُّ على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقى التي لا تتزعزع. لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكرٌ به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى. لأن إلهنا نارٌ آكلة.» (عب١٢: ٢٥—٢٩)

أي إن عقوبة الذين ارتدُّوا عن أمور الإيمان المسموعة والمنظورة كانت شديدة بالرغم من أنها كانت تختص بالأرض الفانية وبوصايا شكلية زائلة، فكم تكون العقوبة إذا ارتددنا عن الذي تكلم من أعلى السموات وليس من على جبل سيناء، ووعد بملكوت لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل حفظه لنا في السماء بضمان دم ابنه الوحيد الذي جعله عهداً أبدياً وليس دم تيوس وعجول؟

هذه هي الأمور التي لا تُرى التي يطلب الله منا أن تكون موضوع إيماننا على أساس اليقين الذي لا يتزعزع!!

إذن، فهي صيغة حتمية واجبة الخشوع والتنفيذ: إن الإيمان هو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى.

وكيف يقوى فينا هذا الإيمان؟

أي كيف تقوى فينا الثقة بالرب واليقين بمواعيده؟
إنها العلاقة التي تربطنا بالله والمسيح هي التي تحدد مدى الثقة واليقين بما نرجوه وبما لا نراه، لأنها أمور الله الخاصة جداً الموهوبة لنا مجاناً.

فأولاً، مستويات الإيمان بالله والإيمان بالمسيح يحددها المسيح نفسه قائلاً: «أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي» (يو١٤: ١). أي إن مستوى الإيمان بالله هو هو نفس مستوى الإيمان بالمسيح من حيث السلطان والقدرة والوعد.

والمسيح يضع أصول العلاقات التي تربطنا به مع الآب والمجالات المفتوحة أمامنا

للسؤال والطلبة والأخذ والإمتلاء بل والإمتلاك في هذه الآيات:
— «ليكنْ لكم إيمان بالله ... كلُّ ما تطلبونه حينما تصلُّون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم.» (مر١١: ٢٢و٢٤)

+ هنا المسيح يضع الصلاة كواسطة وحيدة وفريدة للإتصال بالله ليسمع ما نطلبه. وخارجاً عن الصلاة، لا يمكن أن يسمع لنا الله أو نُعطَى شيئاً.

فإذا كانت طِلْبتنا هي الإيمان وقوته، فوسيلتنا الوحيدة هي الصلاة. ولكن المسيح وضع نفسه وسيط الضمان الأعظم لنوال ما نطلبه في الصلاة، فكيف يصير المسيح وسيط الصلاة الضامن لإستجابة الصلاة؟
+ «إن ثبتُّم فيَّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم.» (يو١٥: ٧)

أي إن ثباتنا في المسيح وثبات كلماته ووصاياه في قلوبنا هو الضمان الأكيد لإستجابة الصلاة لدى الله الآب أن يقوِّي إيماننا، بحيث يصير رجاؤنا في الحياة الأبدية عن ثقة، ويكون يقيننا بنصيب مع القديسين والملائكة وشركة المسيح في ملكوته أمراً يقينياً. هذه عطية يعطيها الله بسبب توسط المسيح وعمل دمه.

+ «الحق أقول لكم إن كلَّ ما طلبتم من الآب **باسمي يعطيكم**. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً **باسمي**. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً.» (يو١٦: ٢٣ و٢٤)
+ «الآب نفسه يحبكم **لأنكم قد أحببتموني**.» (يو١٦: ٢٧)

ولكن ليس الآب وحده هو الذي يستجيب ويفعل لنا، بل المسيح وهو عن يمين الآب يفعل أيضاً.

+ «ومهما سألتم شيئاً باسمي فذلك أفعله، ليتمجد الآب بالإبن. إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله.» (يو١٤: ١٣و١٤)

واضح هنا أنه بقدر لجاجة الصلاة وبقدر ثبوتنا في المسيح وكلمته وبقدر حبنا له

وتكريمنا لإسمه يسمع الآب و يعطي ليتمجد الآب بالإبن.

وهنا قمة التشجيع لنا: أن طِلْباتنا إن كانت بلجاجة صحيحة، من أجل الحياة الأبدية ولأجل قبول ملكوت المسيح، فإن استجابة صلواتنا تكون سبباً لتمجيد الآب لأنها تكريم للمسيح ابنه.

وهكذا ينتهي إيماننا بتمجيد الآب، لأن إيماننا هو هو تكريم لعمل المسيح وتحقيق لملكوته. فإن كان الآب يتمجد بإيماننا عن طريق الصلاة، إذن فقوة إيماننا مفتوحٌ لها الباب عن سعة لأنها تكون سبباً لمزيد من المجد للآب بالإبن!

مفاعيل الإيمان:

مفاعيل الإيمان على نوعين: نوع إيجابي، ونوع سلبي.

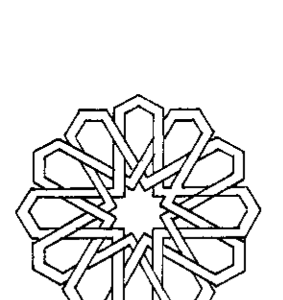
المفاعيل الإيجابية للإيمان، والصلاة من أجل اكتسابها، كثيرة ومتعددة ولا يمكن حصرها تحت عدد. وأمثلتها: حب الإنجيل، حب الطهارة، حب الآخرين بلا تمييز، حب الصلاة والسهر، حب الأعداء، حب العطاء، حب البذل، حب خدمة الخلاص للآخرين، حب الإعتدال، حب الصمت...إلخ.

المفاعيل السلبية للإيمان، والصلاة من أجل التخلص منها: البغضة والحقد والكره والوقيعة والنميمة، الغضب والتذمر والنقد السلبي والتجريح، الشتيمة والكذب والتهويل والقسوة والسرقة والكسل والإهمال والشره...إلخ.

وهكذا يسهر الإنسان على نفسه لكي يخلع الإنسان العتيق مع أعماله الفاسدة بالشهوات والغرور وغواية العدو، ليلبس الجديد، أو بالحري ليؤهَّل للبس الجديد الذي يتجدد حسب صورة خالقه في البر وقداسة الحق.

وما من وسيلة فعَّالة إلا الصلاة معتمداً على وعد المسيح الصادق: «مهما سألتم شيئاً باسمي فذلك أفعله، ليتمجد الآب بالإبن».

وهكذا نرى أن مفاعيل الإيمان، أي نشاطاته، إنما تخدم لتثبيت أُسسه التي يقوم عليها، أي يؤهِّل الإنسان بالأكثر لقبول الحياة الأبدية ونوال ختم ملكوت الله. و يزداد الإنسان يقيناً وثقة باستحقاق عملها فيه بحسب قوة توسُّط دم المسيح الذي يطهِّر و يقدِّس. وهذه هي غلبتنا للعالم: «ثقوا أنا قد غلبت العالم (لكم)» (يو١٦: ٣٣)، «هذه هي الغلبة التي (نغلب بها) العالم: إيماننا.» (١يو٥: ٤)



— ٣ —

الشركة في المسيح والروح القدس

Κοινωνία

□□□

«ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم.» (أف ٣: ١٧)

الشركة مع الله، أو الشركة مع المسيح، أو شركة الروح القدس، لا تعني — في التعبير الإنجيلي — أي صورة من صور الثنائية كشخصين حميمين يعيشان معاً. كذلك لا ينحصر هذا التعبير الروحي العملي في مجرد مفهوم نظري عقائدي.

ولكن الشركة في المسيح والروح القدس فعل روحي سري للغاية يفيد حالة اتحاد فعّال لا يدخل فيها العقل كشريك موصِّل، بل الروح هو الذي يقود و يكشف و يفتح الطريق إلى الله، والقلب يختبر و يذوق و يتصل و ينال قوة.

الله هو صاحب المبادرة دائماً، أي هو الفعّال والمريد، والإنسان يستجيب كردٍّ شاكر منسحق لفعل الله، ولكن يتحتم أن تكون النفس على أوج استعدادها للتسليم سواء من جراء الشوق الشديد أو المعاناة الشديدة التي تترجى خلاصاً.

الله بدأ رحلته إلى الإنسان هكذا: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٦). واضح هنا أن الله يستهدف العالم كجماعة وليس الإنسان كفرد، لذلك فالمؤمنون يمثلون هيكلاً لله: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو٣: ١٦) وليس كأفراد منفصلين.

لذلك، فخبرة الشركة مع الله أو المسيح والروح القدس لا تقوم على أساس الذات بل على أساس المسيح. أما الذات فيلزم تنحّيها ليبقى المسيح مركزاً للإنسان، وليس ذاته، و يصير الإنسان شخصاً جديداً «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠). وحصوله على الأنا الجديدة عبّر عنه هكذا: «أنا ... ليس أنا» «لا أنا بل نعمة الله التي معي» (١كو١٥: ١٠). خروج الذات العتيقة من خبرة الشركة الروحية مع المسيح يؤهِّل الإنسان أن يتحد مع الآخرين **بالحب في المسيح، و يصير شخصاً روحياً.** خروج الذات يجعل الشركة في المسيح شركة فعل وعمل و بذل بالحب وسلوك بالروح لخدمة الآخرين بانسحاق وشكر لمجد الآب: «... يروا أعمالكم الحسنة فيمجدوا أباكم الذي في السموات.» (مت٥: ١٦)

أما إذا دخلت الذات في حياة الشركة في المسيح، فغاية ما تصل إليه هو الشُّكر بالحب والجمال الذي تعكسه على الله من ذاتها، وكأنها تتفضّل عليه.

إن من أخطر العناصر التي تهدم حياة الشركة في المسيح هو التمركز حول الذات، فهذا كفيل أن يجعل المسيح خادماً لمسرات الذات ونشوتها، وهذا تيه.

لذلك، ولحراسة خبرة ومفهوم حياة الشركة في المسيح، اهتم القديس بولس جداً أن تكون حياة الشركة في المسيح من داخل الكنيسة، أي تبدأ الشركة من داخل الكنيسة وتنمو داخلها. فلا شركة في المسيح إلا بالكنيسة (أي جماعة المؤمنين). فنحن ندخل الشركة في المسيح من بابها الأول في المعمودية، التي فيها و بواسطتها ننال ختم الروح الذي سيبقى معنا حتى بعد القبر للحياة الأبدية. كذلك في سر الإفخارستيا ننال الشركة التي سماها المسيح «الثبوت الشخصي المتبادل»: «من يأكل جسدي و يشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه.» (يو٦: ٥٦)

ولكن الشركة تمتد من السر و بالسر لتشمل الحياة برُمَّتها، فعلاً وقولاً وسلوكاً: «أُثبتوا فيَّ وأنا فيكم» (يو١٥: ٤)، «إن ثبتُّم فيَّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما

تر يدون فيكون لكم .» (يو١٥: ٧)

هذا الثبوت الروحي السري في شخص المسيح الحي يصفه القديس بولس الرسول بعد أن اختبر مفاعيله ، وخاصة التغيير الجذري في حياته وتنحي الذات الفريسية العابثة ، بقوله : «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» . هنا فَقَدَ بولس الرسول الذات الفريسية كمركز عبادة كاذبة Ego-centric ليحل محلها المسيح كمركز عبادة حية وصادقة Theo-centric . و يستطرد : «فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه **في الإيمان** إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠) . فلم يعُد بعد شاول هو الذي يحيا و يفتخر بفريسيته الناموسية ، بل المسيح الذي فيه : «لكي يزداد افتخاركم **في المسيح يسوع فيَّ** بواسطة حضوري عندكم .» (في ١: ٢٦)

ثم لا يعتبر القديس بولس الرسول أن ما ناله مجاناً واختبره بالروح في شركة المسيح هو امتياز خاص به ، بل قد علمه علم اليقين أنه هو جوهر الإيمان وفاعليته ، وهو الذي تسلَّمه كي يسلِّمه كأساس العقيدة التي يبشر بها : «جرِّبوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان ، امتحنوا أنفسكم . أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم إن لم تكونوا مرفوضين .» (٢ كو١٣: ٥و٦)

فالقديس بولس الرسول يضع الشركة مع المسيح كإحدى العطايا العظمى التي يدعونا إليها الله باستمرار لننالها مجاناً حسب كثرة رحمته وحبه المجاني : «أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا .» (١ كو١: ٩)

وحينما يريد القديس بولس الرسول أن يبرهن على فعالية هذه الشركة مع المسيح ويختم على صدق المناداة بها ، يذكِّرنا موضحاً : «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟» ، و يعود بسرعة ليؤكد أن هذه الشركة إنما هي لحساب جمع المؤمنين إلى واحد ، وليس لمتعة تصوفية للفرد وحسب : «فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز

الواحد .» (١ كو١٠: ١٦ و١٧)

كما يرى القديس بولس الرسول أن هذه الشركة تزداد وتقوى كل يوم حسب شدة شوقنا وسعينا الذي لا يهدأ بالصلاة ، وهكذا يستحث أهل فيلبي : «اثبتوا هكذا في الرب» (في ٤: ١) . هذه الشركة تزداد حسب صدق خوفنا وطهارتنا وتقوانا : «البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات .» (رو١٣: ١٤)

هي شركة حياة ومعاناة وآلام وموت ، وليست محصورة في ممارسة فعل سرائري .

— «بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية **لكي أربح المسيح وأوجد فيه ...** لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته .» (في٣: ٨—١٠)

أي إن الشركة في المسيح ، وإن كانت تتركز بصورة سرية باهرة في سر الإفخارستيا المدعو **سر الشركة** ، تنبسط على كل الحياة وتنطبع بقوة عظمى على حياة الألم والتجربة والإضطهاد والإستشهاد ، حيث تبلغ هذه الشركة إلى نقطة ارتكازها ومحورها الأساسي وهو الصليب : «مع المسيح صُلِبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠) ؛ «فيما بعد لا يجلب أحد عليَّ أتعاباً لأني حامل في جسدي سمات الرب يسوع .» (غل٦: ١٧)

وهكذا ينجلي أمامنا أن حياة الراهب الذي ترك كل ملذات الدنيا وجاء ليحيا في العوز والضيق متخلياً عن مُتع الجسد وشهواته ، إنما هو يقف على عتبة حياة الشركة مع المسيح . حتى إن حياة الرهبنة تُدعى «حياة الشركة Κοινωνία » ، لا كأن الرهبان يشتركون معاً في حياة واحدة ، فهذا المعنى هو الأضعف ، بل إنما يشتركون مع المسيح بلا مانع في حياة الصليب .

مفاعيل حياة الشركة مع المسيح :

(١) (الملء بالإيمان): المسيح يحل بالروح و بالصلاة و بالكلمة و بسر الجسد والدم

يملأ. وحينما يملأ المسيح، لا ينحصر حتى يملأ كل ما في الإنسان وكل ما للإنسان، لو سلّمنا له التسليم الصحيح المبارك، فهو «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل ... لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح» (أف ٤: ١٠ و١٢)؛ «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً. وأنتم مملوؤون فيه.» (كو٢: ٩ و١٠)

هنا اختبار الشركة مع المسيح لا حدود له، ولكن بقدر ما نسلّم له الداخل والخارج.

إن أول وأعظم عطية الملء هي الإيمان. والإيمان كعطية وموهبة لا يُقارَن بالإيمان الذي ينشأ من المحاجاة والدراسة والمعرفة، لأن إيمان الملء بالروح يقوم على أساس شخص المسيح الحي المعلَن بالروح في القلب كإيمان شاول لما استُعلن له المسيح حياً ومتكلماً، مع أنه كان يضطهد أتباعه باعتبار أن المسيح هذا ليس هو المسيا، وأنه قد مات. شاول لم يحتاج إلى من يقنعه أن المسيح حي، لأن المسيح الحي استُعلن له واستقر في أعماق كيانه الروحي والنفسي، كحبيب حي قدّم نفسه من أجله ثم قام، وهو حي إلى أبد الآبدين، وهكذا أعلن: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل ٢: ٢٠)

عطية الإيمان التي يعطيها المسيح عند دخوله حياة الإنسان في شركة مباركة حية فعالة مع المسيح الحي، تتفجر ثقةً و يقيناً وشجاعةً وإصراراً وحباً واعترافاً بشخص المسيح الذي يبدأ ليكون هو المتكلم في الإنسان والمريد والعامل.

— «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.» (غل ٣: ٢٦ و٢٧)

وكان الآباء يدعون من تظهر عليه علامات الإيمان القوي الحي بالمسيح أنه Χριστόφορος «خريستوفوروس» أي «اللابس المسيح». هذا يكشف بصورة محزنة أننا لم نضرم موهبة المعمودية بالروح لكي يظهر إيماننا بالمسيح الذي يملأنا من

الداخل والخارج وكأننا نلتحف به كرداء من نور.

وهذا الإيمان المتفجر فينا بملء المسيح هو عينه الذي يكمّل خلاصنا كل يوم بعمل نعمة المسيح التي لا تهدأ في قلوبنا الليل والنهار حتى نكمّل، «لأنكم **بالنعمة مخلَّصون بالإيمان** وذلك ليس منكم هو **عطية الله**» (أف ٢: ٨). حتى استطاع بولس الرسول وهو في خضوع عمل المسيح فيه أن يقول: «نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع (الإنسان الجديد الروحاني) لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها.» (أف ٢: ١٠)

(٢) (القوة): حينما تكون الشركة مع المسيح فعّالة، فإن قوة المسيح تكون عاملة داخل الإنسان، خاصة في أثناء المرض والضعف والضيق: «تكفيك نعمتي لأن **قوتي** في الضعف تكمل» (٢كو١٢: ٩)؛ «أستطيع كل شيء **في المسيح** الذي **يقويني.**» (في ٤: ١٣)

كذلك عند اختبار الموت الحقيقي عن العالم حيث يُصلب العالم لي وأنا للعالم والموت عن الجسد مع الأهواء والشهوات: «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥: ٢٤)، يكون أنه بقدر الإحساس بالموت تحل قوة القيامة وفرح العالم الجديد: «لأعرفه **وقوة قيامته**» (في٣: ١٠). فالمسيح قوة حقيقية للمائتين من أجله الحاملين صليبه «بالمسيح قوة الله وحكمة الله» (١كو١: ٢٤)؛ «القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نفتكر أو نطلب بحسب القوة التي تعمل فينا.» (أف ٣: ٢٠)

(٣) (الكلام): حينما تكون الشركة مع المسيح فعالة، فإن الإنسان لا يتكلم من نفسه فيما يخص خلاص الآخرين وتعليمهم أو للدفاع عن نفسه، بل المسيح نفسه «إذ أنتم تطلبون برهان **المسيح المتكلم فيَّ** الذي ليس ضعيفاً لكم بل قوي فيكم.» (٢كو١٣: ٣)

والمسيح نفسه يؤمّن على هذا الكلام بقوله سابقاً: «ومتى ساقوكم ليسلّموكم فلا

تعتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا، بل مهما **أُعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلموا**، لأن لستم أنتم **المتكلمين** بل **الروح القدس.**» (مر١٣: ١١)

والقديس بولس الرسول يؤكد ذلك عن خبرة وعمل: «فإنه لواحد يُعطى بالروح **كلام حكمة** ولآخر **كلام علم** بحسب الروح الواحد.» (١كو١٢: ٨)

(٤) (البر): حينما نصير في المسيح و يصير المسيح فينا بالشركة، ننال صفة المسيح أمام الله: «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا **لنصير نحن برّ الله فيه.**» (٢كو٥: ٢١)

بمعنى أن نصبح **آية لبر الله** الموهوب للإنسان بواسطة المسيح الذي فينا، فأي افتخار للإنسان أن يكون أو يصبح بر الله بعد أن كنا في لعنة الخطية مستوجبين الموت؟ والبر هنا يفيد منتهى الإستقامة والحق والعدل معاً.

— «ونحن طالبون أن نتبرر في المسيح:» (غل٢: ١٧)

— «إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح.» (غل٢: ١٦)

(٥) (الفرح): إن شركتنا **في المسيح** هي مصدر فرحنا الوحيد، ولا شيء في العالم يقدر أن ينزعه منا، لأنه نابع من المسيح الساكن فينا: «إذن يا إخوتي افرحوا في الرب» (في٣: ١)، «لأن ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً بل هو بر وفرح وسلام في الروح القدس» (رو١٤: ١٧). هذا الفرح الروحي الذي مصدره هو المسيح الذي فينا بروحه، هو فرح الملكوت. يقول عنه المسيح أن لا أحد يستطيع أن ينزع هذا الفرح منكم (يو١٦: ٢٢).

(٦) (حب الله): الشركة في المسيح تؤسس في قلبنا حب الله المستمد من حب المسيح للآب، بصورة فائقة لا يمكن أن يطفىء لهيبها شيء في الوجود: «فإني متيقن أنه لا موت

ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن **محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا.**» (رو٨: ٣٨و٣٩)

وهكذا إذ تصير لنا شركة مع المسيح، يرتفع حبنا لله متحدياً كل قوات الظلمة ومخاوف وزعازع العالم وشهوة الحياة فيه وضد كل تهديد حتى الموت!!

(٧) (سلام الله): كما أن المحبة نحو الله تنبع من شركتنا في المسيح بصورة قوية تفوق العقل، هكذا ينبع و يفيض سلام الله: «وسلام الله الذي **يفوق كل عقل** يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع.» (في٤: ٧)

هذا التقديس يجيء مباشرة بفعل دم المسيح الذي إذ نؤمن بالمسيح نصير تحت رش دمه، لا لنتطهر من خطايانا فقط، بل ولنتقدس أيضاً إذ نصير خاصة له: «وهكذا كان أناس منكم. لكن اغتسلتم (بالدم) بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع و بروح إلهنا» (١كو٦: ١١)؛ «لنتقدم بقلب صادق في **يقين الإيمان** مرشوشة قلوبنا (بالدم) ومغتسلة أجسادنا (بالمعمودية) بماء نقي.» (عب١٠: ٢٢)

(٨) (ختم الروح القدس): إذ نحصل على الشركة في المسيح، نحصل بالتالي على ختم الروح القدس الذي يعطينا حق التبني والميراث مع المسيح في الله «لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا **في المسيح** (بالرجاء خلصنا) **الذي فيه أيضاً أنتم** إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، **الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس**، الذي هو عربون ميراثنا — لفداء — المقتنى لمدح مجده» (أف١: ١٢—١٤)؛ «ولا تُحزنوا روح الله القدوس (الذي فيكم في المسيح) الذي به خُتمتم ليوم الفداء» (أف٤: ٣٠). المختومون معروفون في السماء: «وسمعت عدد المختومين» من الشعب القديم والأمم (رؤ٧: ٤).

(٩) (جسد واحد لجميع المؤمنين): حينما ندخل الشركة في المسيح نتقابل مع المؤمنين لنصير كلنا أعضاءً بعضنا لبعض، لنصير ملء جسد المسيح «هكذا نحن الكثيرين **جسد واحد في المسيح** وأعضاء بعضنا لبعض، كل واحد للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا» (رو١٢: ٥)؛ «لأننا جميعاً بروح واحد اعتمدنا إلى جسد (يسوع) واحد... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (١كو١٢: ١٣)

هكذا تزول الفوارق، ولا تبقى حجة لحسود أو حاقد، ولا تبقى فرصة للشيطان فينا، وبذلك يفهم كل واحد منا أن شركة المسيح والروح القدس تعني حالة فعّالة من داخل الإنسان وخارجه، وهي وحدها التي تؤهلنا للميراث المعدّ في السماء مع المسيح والقديسين. وبدون هذه الشركة الحية الفعّالة تظل كل ممارساتنا بلا قوة، ومواهب الروح فينا تبقى معطلة، لأن حياة الشركة في المسيح أو مع المسيح والروح القدس التي تنشأ من التسليم الكلي للمسيح تعطي المسيح البدء للعمل داخلنا بقوة الروح القدس لتظهر أعمال المسيح المعمولة فينا شهادة للمسيح ولمجد الآب.

وكثير منا يعرف المسيح «الذي ارتفع فوق جميع السموات»، ولكن قليلٌ مَن أكمل الشطر الثاني من الآية: «لكي يملأ الكل» (أف٤: ١٠) **حيث مجد المسيح وعظمته وامتداد سلطانه يمتد فينا ويُستعلن بواسطة متَّقيه. آمين.**

— «لأن مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النَعَم وفيه الآمين **لمجد الله بواسطتنا — ولكن الذي يثبّتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله، الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا.**» (٢كو١: ٢٠—٢٢)

□□□

هنا، فليفهم القارىء اللبيب أن المسيح هو الساعي إلينا أولاً، والله هو الذي قدّم إلينا المسيح، بل وتنازل ومسحنا بدمه حسب ملء حبه الفائق على عقولنا والمتجاوز لضعفنا؛ ولكن سَعْيَ المسيح إلينا وقدرته الفائقة في التواضع والحب ليكون هو السابق

إلينا يستحثنا جداً جداً أن نستجيب ونسعى للمقابلة في الداخل «ليس أني قد نلتُ أو صرت كاملاً، ولكني أسعى لعلي أُدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع.» (في٣: ١٢) □



— ٤ —

الإيمان بدم المسيح الحي

كمصدر عملي تتفجر منه طاقاتنا الروحية المحبوسة وتتجدد به كل أعمالنا وأفكارنا وسلوكنا

□□□

أولاً: الدم الحي للمصلوب الحي = أساس الإيمان الحي

إلى الآن نحن نشبه جماعة خرجت تبحث عن ماء، فأخذت تحفر في كل ٱتجاه آباراً، ظهرت كلها أنها مشققة لا تضبط الماء؛ وتركنا **في داخلنا** ينبوع الحياة الذي يتفجر منه الماء حياً بلا توقُّف أو نهاية؛ ولكنه أُخفي عن عيوننا الداخلية لأننا خرجنا خارج أنفسنا نبحث عن الحق والحياة بأرخص الأثمان وأتفه الوسائل، لا نريد أن نبذل، ولا نريد أن نتعب، ولا نريد حتى أن نكون صادقين في الإيمان مع الله ولا مع أنفسنا.

إن خطية عدم الإيمان هذه التي لا تزال مخفية ومستترة تحت طيات العقل بالشك ولا نريد أن نخرجها إلى خارج لتُكشف بالنور، هي التي أعمت بصائرنا. وكذلك يوجد تعاهد مع العالم وميل للأخذ بمشورته، مع الإهمال والكسل واستصعاب مواعيد الله وعدم الخضوع لكلمته، حتى جفَّت قممنا النامية كشجرة زيتون صغيرة تأخذ أكثر من حقها في الماء والمخصبات والشمس ولكن أصابها وَبَاءٌ شديد الفتك مع أنه أضعف من الضعف، لا يبيده إلا مُبيد الأوبئة المجاني: إنجيل ربنا يسوع المسيح، وذلك بتعريض الضمير إلى رَشّاش دم المسيح في القلب لقبول إيمان حي بثقة و يقين ليختفي المرض و يُباد إلى الأبد، وتعود الصحة و يعود النمو كل صباح.

الإيمان في المسيح الحي: «الله أعلن ٱبنه فيَّ.» (غل ١: ١٦)
«المسيح يحيا فيَّ.» (غل ٢: ٢٠)

تكلمنا سابقاً عن الإيمان عامة كموهبة وعطية، كما عرَّفه القديس بولس الرسول أنه هو: «الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى.» (عب ١١: ١)

ولكن ما هو: **«الإيمان في المسيح»؟**
إذا استطعنا إدراك الإيمان في المسيح إدراكاً عملياً وليس إدراك الفهم، أي إذا حصلنا على الإيمان في المسيح، نكون قد بلغنا الينبوع الذي يفيض قوة و بركة ومواهب بلا حصر.

نعود إلى المسيح يسوع — تبارك ٱسمه — لنتعرف على مضمون الإسم. فالمسيح يعني «المسيَّا»، و«المسيَّا» هو ٱسم شخص ربنا يسوع قبل التجسد، فهو الرب الروح.

و«يسوع» هو الإسم الذي أعلنه الملاك جبرائيل للقديسة مريم العذراء أنه المولود منها بالروح القدس، القدوس ٱبن الله المتجسد، الذي شبَّ في الناصرة وصار رجلاً كاملاً، ثم قدَّم نفسه بالموت عنا على خشبة الصليب، ولكنه قام من بين الأموات، وظهر حياً لتلاميذه في نفس اليوم وظهر لكثيرين وأكل وشرب بينهم ولمسته أيديهم، وتحدث هو هو معهم مدة أربعين يوماً بعد القيامة.

إذن، فالمسيا الرب الروح هو يسوع المصلوب الذي مات، وهو هو يسوع المسيح الذي قام حياً بقوة الروح القدس من بين الأموات، وظهر لكثيرين فتبرهن أنه ٱبن الله، ووعد أن يكون معهم كل الأيام، وهو الذي أعلنت الملائكة وقت صعوده إلى السماء أنه سوف يأتي كما رأوه صاعداً إلى السماء ليدين الأحياء والأموات. **أي أن المسيح يسوع:**

١ — يغطي الماضي، ماضي التوراة رجاء اليهود بأكمله.

٢ — و يغطي حاضرنا نحن الذين نؤمن به حياً كل الأيام إلى ٱنقضاء الدهر.

٣ — ثم يغطي المستقبل الذي سيبدأ بالدينونة يوماً ما في نهاية الدهور وبعدها يدخل المختارون إلى الحياة الأبدية مع الله — كورثة في المسيح يسوع بالتبني.

أي أنه حينما نؤمن بالمسيح يسوع الآن، فنحن نقبله باعتباره **الرب الروح، المسيّا،** وباعتباره **الربّ** المتجسد المصلوب **يسوع،** وباعتباره **الربّ القائم** من بين الأموات، الحيّ الذي كان والكائن، وهو الآن معنا **يملأ حاضرنا** كل يوم وحتى انقضاء الدهر، وباعتباره الرب الذي سيكون الديان العادل والذي سوف ينقذنا من ساعة التجربة التي ستأتي على العالم لتجرّب الساكنين على الأرض (رؤ٣: ١٠)؛ ويعبربنا الدينونة من الموت إلى الحياة لنرث معه.

إن مركز قوة إيماننا بالمسيح هو أنه المسيا رجاء الدهور المتجسد، المصلوب الذي مات عنا والحي الآن بآن واحد، العامل فينا بدمه الحي الذي قدّمه على الصليب بروح أزلي. فالمسيح قام من بين الأموات حياً ودمه عليه وجروحه حية؛ وجنبه المفتوح الدامي حي كما هو. هكذا لمس توما الرسول الجسد المصلوب الذي مات أمام عينيه، ثم لمسه بعد القيامة فوجده حياً ودمه فيه، فآمن أن يسوع هو المسيا آبن الله الرب الإله، وأن هذا الدم هو دم الإله الحي.

هذا هو الدم الحي الذي يعمل فينا حينما يحل المسيح **بالإيمان** في قلوبنا، فيصير ينبوع رشاش للتطهير والتقديس، ينضحه المسيح نفسه وبشخصه على قلوبنا وضمائرنا، فيطهرها من الأعمال الميتة، ويوقفنا أمام أبيه في الصلاة بلا لوم داخل دائرة شدة قوة محبته من نحونا ومن نحو الآب: «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف٣: ١٩)

لذلك يؤكد القديس بولس الرسول أن المسيح حينما يحل بالإيمان في قلوبنا يصير لنا «براً وقداسة وفداءً» (١كو١: ٣٠)، «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي»

(عب٩: ١٤). وهكذا أيضاً «جعل الذي لم يعرف خطيةً خطيةً لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه» (٢كو٥: ٢١)، أي إن المسيح الحي الذي نقبله في قلوبنا بالإيمان والمحبة **يُصيِّرنا أبراراً**، لأنه إذ هو «البار... يبرر كثيرين» (إش٥٣: ١١)، لا كأننا نصير أبراراً من أنفسنا، ولكن شركتنا فيه بالإيمان والمحبة جعلته يمثلنا أمام أبيه، فنُحسب أننا **أبرارٌ فيه**.

إذن، فقوة فعل دم المسيح تعتمد على **حضور المسيح الشخصي في قلوبنا حياً ودمه عليه** يعمل فينا لحساب أبيه!! فنحن لا نقبل بالإيمان مسيحاً مصلوباً مات عنا **فقط**، ولا مسيحاً حياً قام من بين الأموات **فقط**، بل نحن نقبل المسيح الحي الذي دمه عليه، يتدفق من جنبه ويديه ويفعل فينا بروح أزلي لا يفسد ولا يجف إلى الأبد، لأنه جزءٌ حيٌّ من جسده الإلهي المقام حياً.

هذا يعني أن قيامة المسيح من بين الأموات حياً في اليوم الثالث بعد الصلب ودمه عليه، جعلت الصليب يتجاوز العثرة والعار، ويدخل إلى أعلى قمم المجد: «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة أما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله» (١كو١: ١٨)؛ وجعلت قبره الذي دُفن فيه ولفّته وَحْشة الموت المرعبة جعلته يخرج من عتمة الظلمة القاتلة للإيمان والعقل إلى نور التجلي كموضع قيامة. أما الدم المسفوك على الصليب، فتحول في ذهن تلاميذه (دون أن يتحول هو) من دم إنسان (مات أمامهم على الصليب بلا رجاء مع أنهم كانوا يترجّون أن يفدي إسرائيل)، إلى استعلانه أنه دم آبن الله الذي فيه الفداء عينه الذي كانوا يترجونه، فصار دم المسيح القائم من بين الأموات هو رجاء كل الدهور لفداء الإنسان: «الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا.» (كو١: ١٤)

وهكذا، فإن خلاصة الكلام هي أن إيماننا بدم المسيح الحي هو «**إيمان حي**» ينبع من المسيح الحي الذي فينا، الذي قبلناه بالإيمان وبحلول روحه القدوس، وهو العامل فينا بالمشيئة والعمل «بدمه الحي» الذي:

أ ــ قدّمه عنا ذبيحة حية مقبولة أمام الآب في السماء للتكفير عن خطايانا ؛

ب ــ وفينا للتقديس والتبرير.

□

ثانياً : الإيمان الفعّال بالدم الإلهي

هو عطية مجانية لتغيير حياتنا وسلوكنا لتصير حسب مشيئة الله ومسرته

« لنا الفداء بدمه غفران الخطايا » (أف ١ : ٧)

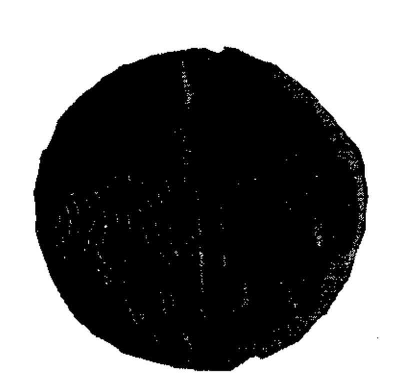
عندما قدم المسيح دمه الحي المسفوك، في كأس عشاء يوم الخميس، ليشرب منه التلاميذ بلا أي شرط ولا ثمن، كان هو النمط الذي سيوزع فيه المسيح دمه الذي سُفك على الصليب، على الكل (لأن كلمة « كثيرين » في الآية : « الذي يُسفك عنكم وعن **كثيرين** » تجيء في اللغة الآرامية لتعطي معنى **« الكل »** لأن اللغة الآرامية ليس فيها كلمة « كُل » !!). هذا أوضحه القديس يوحنا الرسول في رسالته الأولى بقوله : « وهو كفّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا **كل** العالم أيضاً » (١ يو ٢ : ٢). فإن كان دم المسيح وُهب **لكل العالم، فهو حتماً مجاني.**

ولذلك، ينبغي أن نعيد توضيح كلمة **« الإيمان بدم المسيح »**. فليس الإيمان هو ثمن دم المسيح، بل إن دم المسيح هو الذي أسس فينا الإيمان وجعله قوة فعالة لقبول الفداء والمغفرة والمصالحة والتقديس والتبرير والتبنّي، هذا كله يفعله الإيمان بواسطة دم المسيح المسفوك من أجل كل العالم للتكفير عن خطايا كل العالم.

إذن، فكل إنسان في العالم، مهما كان خاطئاً ومنبوذاً، فله الحق في هذا الدم مجاناً ليأخذ به كل عطايا الفداء!! من أول المغفرة حتى التبني والتقديس.

فإذا تخلف أي إنسان عن نوال عطية دم المسيح الكفاري يكون هذا خطأه وخطيته المميتة ولا يُحسب مؤمناً. هذا يضعنا في موقف صعب وخطير، بل ومرعب. ولكن في

نفس الوقت يستحثنا بشدة عظيمة أن نقبل هذا الدم ونتمسك به دون أي عذر، فلا يوجد عذر واحد في العالم يبرئنا من عدم التمسك بهذا الدم والمطالبة بكل مفاعيله مجاناً.



— ٥ —

فعل دم المسيح

□□□

كالجوهرة ذات الزوايا والأوجه العديدة تشعُّ النور الساقط عليها بآلاف الأشعة، هكذا دم المسيح تنبعث منه قوة إلهية في كافة الإتجاهات التي تعوز الإنسان لتصحح وضعه أمام الله ثم تستمر في عملها بلا هوادة لتعطيه شكل المسيح وصفاته.

أولاً: تصحيح وضع الإنسان أمام الله:

وهذه قد سبق أن شرحناها بتدقيق في مواضع عديدة. فالمسيح أكمل لكل إنسان المصالحة مع الله بالكفَّارة التي قدمها بدمه، إذ فداه من الموت وحرَّره من عبودية الخطية بالمغفرة بدمه؛ ثم قدَّسه بالدم أيضاً فصار باراً أمام الله، وبلا لوم في المحبة بدم المسيح.

ثانياً: إعطاء صفات المسيح:

«يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم.» (غل٤: ١٩)

وكما يرث الإنسان صفات أبَوَيْه بالميلاد من خلال الچينات، هكذا نرث صفات المسيح الروحية الكائنة في دمه بالميلاد الجديد. ولكن الأولى صفات الجسد، والثانية صفات الروح. فكل ما للمسيح من صفات قد وهبه لنا الله بروحه في دم المسيح، ليكون إنساننا الجديد على صورة خالقه.

أ ـ حق المسيح:

«حق المسيح فيَّ.» (٢كو١١: ١٠)

لا تقُل إنها جرأة من بولس الرسول أن يعلن بيقين كشهادة يتمسك بها عوض القسم أن «**الحق**» الذي في المسيح قد صار فيه سواءً بسواء، هكذا وفي غير ريب، يكشف لنا بولس الرسول عن حقيقة مذهلة أن صفة كالحق الإلهي الكائن في المسيح نستطيع أن نمتلكها، ولكن لا عجب في هذا، ألسنا ورثة وقد ورثناه في أعظم وأعلى وأغلى صفة له وهي البنوَّة لله، إذ قد صرنا شركاءَ فيها **بالتبني**، أي قد صرنا **أبناء الله فيه، بنعمة** المسيح وفضله وسخائه.

فهل كثير علينا، أنه كما صار لبولس، أن نرث نحن أيضاً الحق الذي في المسيح، وإن كان المسيح فينا فكيف لا يكون حق المسيح فينا؟

ولكن يا للخطورة، إذ كيف يكون حق المسيح فينا ونكذب؟ أو كيف يكون حق المسيح فينا ويمتلىء فنا بالباطل أو نشتهيه؟ أو نسلك فيه؟

لقد وهبنا المسيح بدمه أجمل صورة، والحق الذي في المسيح هو تاج هذه الصورة، إنها صفة من صفات الله التي أخذها المسيح ليعلنها لنا فيه جهاراً: «أنا هو الطريق **والحق** والحياة.» (يو١٤: ٦)

إن كانت قوة البخار قديماً تسيِّر القطار، والآن قوة الكهرباء هي التي تسيِّره، وهذه القوة لها دفع وسرعة مذهلة، فكم تكون هذه القوة بل كل قوة في العالم، حتى قوة الصواريخ، إزاء الحق **الذي في المسيح الذي به دان رئيس هذا العالم وأسقطه من السماء:**

— «رئيس هذا العالم يأتي **وليس له فيَّ شيء!!**» (يو١٤: ٣٠)
ـ «لأن رئيس هذا العالم **قد دين!!**» (يو١٦: ١١)
ـ «رأيت الشيطان **ساقطاً مثل البرق من السماء!!**» (لو١٠: ١٨)

الكذب هو قوة الشيطان الكبرى، وهو يهبها لأولاده: «لأنه كذاب وأبو

الكذاب!!» (يو٨: ٤٤)

فيا للمرارة إن كنا نقف ولو إلى لحظة لنختار بين الحق والكذب، نحن الذين ورثنا حق المسيح لكي نهزم به العدو مع كل حيله! إن دم المسيح فينا يتكلم بالحق ويحكم و يدين: «ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة؟» (١ كو٦: ٣)

ب – صبر المسيح:

«والرب يهدي قلوبكم إلى محبة الله **وإلى صبر المسيح**» (٢تس٣: ٥). وأي صبر؟ الصبر الذي به **احتمل الآلام** حتى الموت موت الصليب (في٢: ٨).

تقول: وإلى متى أصبر؟ أصبر حتى يضيع حقي؟ أصبر حتى تُداس كرامتي في الأرض؟ أصبر حتى أفقد عافيتي؟ أصبر حتى أُهان وأُشتم وأُضرب و يسيح دمي؟

نعم نعم، وحتى الموت موت الصليب.

هذا يكون إن كان دعاء بولس الرسول يصيب انتباه قلبك، فتهتدي إلى طريق النصرة والغلبة ليس على أعدائك والآكلين حقوقك بل الغلبة على العالم، بصبر المسيح الذي يسكن في قلبك حيث تشع قوته ونوره من دم المسيح الذي يهدي قلبك إلى سر احتمال المسيح حتى غلب العالم: «ثقوا أنا قد غلبت العالم.» (يو١٦: ٣٣)

هذه صورة من أجلّ صور وجه المسيح وهو واقف أمام الذين ضربوه على ظهره حتى سال دمه وتمزق لحمه (لأنه معروف أنه بعد الضربة العاشرة بالسوط على الظهر العاري يبدأ يسيل الدم. والمسيح ضُرب ٣٩ جلدة)؛ ثم استداروا ليضربوه على رأسه (موضع كرامة الإنسان)؛ وأخيراً بصقوا في وجهه الذي رآه بولس الرسول على حقيقته بلمعان أكثر من الشمس وقت الظهر.

حينما يهتاج غضبك و يفرغ صبرك، وقبل أن تبدأ في أن ترد أو تتخذ إجراءك، تذكَّر

وجه المسيح وهو واقف أمام ضاربيه ثم سائراً حاملاً الصليب باهتمام واحتمال مدهش ثم على الصليب متقوِّياً بالصبر الذي فيه، والذي وهبه لك!! وهبه لك بنفس القدر والهدوء والشكر ليكون سندك لتكمل الشهادة حسناً. ألم يهبك دم صليبه؟

ج – طاعة المسيح:

«مستأسرين كل فكر إلى **طاعة المسيح.**» (٢كو١٠: ٥)

وأيضاً كانت طاعة المسيح بلا حدود، قادته إلى الصليب، وحتى إلى القبر، ولكنه قام تاركاً القبر فارغاً، لأنه كان يطيع الآب، وطاعة الله **لا تقود قط** إلى خسارة أو تيه أو ضلال بل إلى نصرة أكيدة وقيامة.

وكان سر صبر المسيح هو علمه اليقين أنه كان يطيع الآب، فاستهان بالفضيحة والعار وسار حاملاً صليبه، ممدّداً ذراعيه للمطرقة والمسمار.

لقد كانت طاعة المسيح مذهلة لأنه لم يحتج على الحكم بل قَبِل حكم الموت بلا تردد أو تذمر، فكان في طاعته هذه استعلان سِرِّ بنويته للآب، الذي سُرَّ هو أيضاً أن يسحقه بالحزن: «هكذا **أحب** الله العالم **حتى بذل** ابنه الوحيد.» (يو٣: ١٦)

ولكن هذا يكشف أن وراء الطاعة كان الحب، الحب الطاغي الذي جعل الآب لا يستهين بآلام المسيح بل وسُرَّ بها أيضاً لتكميل حبه العجيب للإنسان!!

أما طاعة المسيح لله فكانت تنسجها خيوط المحبة الأزلية التي للإبن نحو الآب.

إذن، لا يمكن أيها الإخوة أن يقوى أحد على امتلاك **طاعة المسيح** هذه، إذا لم يكن حبه يملأ القلب ليقود الفم والفكر واليد والرجل للسير في طاعته، حتى على الشوك أو النار، لأنه هو سبق وأحبنا: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠)؛ «أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى.» (يو١٣: ١)

حب المسيح لنا هوَّن عليه آلام الصليب حتى الموت، فالطاعة يزيِّنها الألم إن كانت صادرة عن المحبة. إذن، فالذي يدفعنا أن نركب المصاعب في سبيل تكميل الطاعة هو المحبة، المحبة السرية التي تنبعث من دم المسيح، فرائحة دم المسيح تفوح بالحب كل الحب، الحب نحو الآب ونحونا بلا تحفُّظ. لذلك، فكل طاعة لا تنبعث من حب المسيح المنبعث من دمه، داخل قلوبنا، فهي طاعة ميتة لا تأتي بثمار، بل سرعان ما تذبل وتموت.

ونحن لا نطيع إنساناً لتكريمه، ولكن نطيع كل إنسان كرامة لمن سلَّمنا سر الطاعة بدم صليبه.

كذلك، فنحن لا نطيع خوفاً من أحد، فنحن نحب المسيح والمحبة تطرد الخوف إلى خارج؛ إنما نطيع الآخرين حباً في من **أطاع صالبيه** طمعاً في ربح أرواح مفدييه!!

فإن سكن فينا سر «**طاعة المسيح**» التي أطاع بها الآب وأطاع بها صالبيه: «مَنْ تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصري. قال لهم يسوع: أنا هو» (يو١٨: ٤ و٥)، حينئذ لن نجزع في تأدية الأوامر التي تصدر لنا أو علينا؛ ولن نخاف ولن نرجع إلى خلف، عالمين أن سر طاعتنا أو «طاعة المسيح» التي فينا ستقودنا إلى المجد!! «أطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفَّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض، و يعترف كل لسان أن يسوع هو ربٌّ لمجد الله الآب.» (في٢: ٨و٩و١٠و١١)

وهكذا فإن كنا نملك حق المسيح وصبره وطاعته فسوف نستأسر كل فكر يحكم لنا أو علينا، مهما كان قاسياً أو عاتياً، إلى طاعة المسيح، **طاعة** المسيح التي فينا: «وإن أرضت الربَّ طرقُ إنسان جعل أعداءَه أيضاً يسالمونه» (أم١٦: ٧). لا يمكن أن يسالمنا العدو، أي يعاشرنا بالسلام ونحن متمسكون برأينا، متشبثون بحقوقنا كما نراها ونتصورها، مختصمون مع رأي الناس وحكمهم. المسيح هنا يمدنا بنصيحة النجاة: «كن

مُراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق» (متى٥: ٢٥). وليس من فراغ يكون في قلبنا فكر المراضاة للخصوم هكذا بسرعة في الطريق قبل أن تتفاقم الخصومة لتصل إلى الشرطي والقاضي. ولكننا من مخزون «طاعة المسيح» التي صاغت قلوبنا الجديدة وأفكارنا الجديدة نقدم المراضاة للخصم يسندها الصبر والمحبة غير الغاشَّة «أحبوا أعداءَكم.» (متى٥: ٤٤)

إذن، فطاعتنا التي نغلب بها العالم والخصوم ونستأسر بها كل فكر، مهما كان معاكساً ومتعالياً، إلى طاعة المسيح هي طاقة روحية جديدة ليست من صنع الحكمة البشرية بل منبثقة من دم المسيح الذي كان ثمرة الطاعة، الطاعة لمحبة الآب التي ارتضت بالسحق على الصليب وطاعة الذين قادوه إلى الضرب ثم الصليب: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون.» (لو٢٣: ٣٤)

وهكذا كان نوع الإنتقام الذي انتقم به المسيح من أفكار الذين صلبوه والعدو الذي خطط ونفذ هذه الجريمة في قلوب الصالبين، إذ قام من بين الأموات وارتفع فجعل الكل تحت قدميه، وأولهم إبليس، وأخضع العاتين منهم إلى الإستسلام للندم والإعتراف بالمسيح رباً وإلهاً.

وهكذا كل من أراد أن يعيش بـ«طاعة المسيح»، عليه في الأوقات العصيبة أن لا يتكلم ولا يفكر ولا يدبر إلا و يده على دم المسيح، راسماً طريق الصليب أمام عينيه، وواثقاً من نصرة القيامة في النهاية، عالماً أنه «ليس لأحدٍ حبٌّ أعظم من هذا أن يضعَ أحدٌ نفسَهُ لأجل أحبائه.» (يو١٥: ١٣)

د ــ آلام المسيح:

— «لأعرفه وقوة قيامته و**شركة آلامه** متشبهاً بموته.» (في٣: ١٠)

— «لأنه كما **تكثر آلام المسيح** فينا كذلك بالمسيح تكثر **تعزيتنا** أيضاً.» (٢كو١: ٥)

أن تكون فينا «آلام المسيح» نعتبر أننا آستؤمنا على أعظم وديعة، لأن المسيح اكتسب كل شيء ثمناً لآلامه، لأنه احتملها بكل قسوتها، من أجل خلاصنا وراحتنا وعزائنا وسرورنا وإكليلنا الأبدي.

فمن يُستأمن على **جوهر آلام المسيح** ويحظى بالإشتراك العملي فيها، ينال قوة كقوة المسيح التي أقامته من الموت وأدخلته إلى مجده: «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر (حينما نقبلها كشركة في آلام المسيح) لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا.» (رو٨: ١٨)

— «إن كنا نتألم معه (شركة آلام المسيح) لكي نتمجد أيضاً معه.» (رو٨: ١٧)

— «لأن خِفَّة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً.» (٢ كو٤: ١٧)

ولكن كيف نأخذ جوهر «آلام المسيح» ونعيشها لتكون أساساً راسخاً في تكوين فكرنا وسلوكنا. على هذا يرد القديس بولس الرسول: «مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠). أي إن آلام المسيح ما قبل الصليب وعلى الصليب حتى الموت وهبها المسيح كعطية مجانية يستطيع كل واحد عرف المسيح وآمن بقيامته وقَبِله رباً وإلهاً أن يقول مع بولس الرسول: «مع المسيح صُلبتُ» أو أنَّ آلام صليب المسيح حلَّت عليَّ وفيَّ يوم آمنتُ بصليبه **ودمه**.

فالمسيح إذ قام من بين الأموات حياً، وما عاد يسود عليه الموت بعد، صارت آلام الصليب حية فعَّالة فيه من أجل مختاريه إلى أبد الآبدين: «ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح.» (رؤ٥: ٦)

فكما أخذنا قيامته: «إن كنتم قد **قمتم مع المسيح**...»، «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات...» (كو٣: ١؛ أف٢: ٦)، هكذا حتماً وبالأولى نكون قد أخذنا قوة وموهبة ومفاعيل آلامه.

ولكن آلام المسيح، **إذ هو آبن الله القدوس الذي بلا لوم، لا يمكن أن تُقاس عمقاً وارتفاعاً، فهي بلا حدود كطبيعته**. أما نحن فشركة آلامنا مع المسيح في العالم تتناسب مع طبيعتنا، تقل وتزداد بقدر احتمالنا للأمجاد التي بعدها. لذلك أكمل القديس بولس الآية بحكمة روحية قائلاً: «كما **تكثر** آلام المسيح فينا، **كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً**». أي أنه بقدر استيعابنا للألم الذي عاناه المسيح آخذين منه لأنفسنا أكبر نصيب لمواجهة ما يعرض علينا كل يوم من صنوف الآلام من أجله ومن أجل آسمه، فإنه تُزاد لنا بنفس القدر تعزيات المسيح، أي أن النسبة محفوظة دائماً وبالقياس الدقيق:

آلام المسيح = تعزية المسيح.

والمسيح نفسه وبعمل دمه الإلهي يهبنا جوهر آلامه كما يهبنا جوهر تعزياته.

فقوة آلام المسيح التي احتمل بها الصليب، حينما تحلُّ في قلوبنا، تجعلنا نركب الصعب كما ركب هو الصليب، تماماً بهدوء وصبر وإصرار، وهي موهبة. ولكن يستحيل أن يتألم أحد بهدوء وشكر إلاّ وتداهمه تعزية تفوق العقل. لأن الألم ينتهي بالجسد، أما العزاء فهو **بالروح** ولا نهاية له. والألم موهبة والعزاء موهبة:

— «وأنتم صرتم **متمثلين بنا وبالرب** إذ قبلتم الكلمة في ضيق كثير بفرح الروح القدس.» (١تس١: ٦)

— «حتى إننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها بيِّنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهَّلون لملكوت الله الذي **لأجله تتألمون أيضاً**.» (٢تس١: ٤و٥)

وهكذا، فالآلام وحدها إن دخلناها بسرور وبفرح الروح القدس (حسب طبيعة آلام المسيح) فهي قادرة أن تكشف عن أعيننا صدق ما يقوله القديس بولس الرسول أننا صرنا أقرب إلى ملكوت الله، أو إذا تجاوزنا الزمان نشعر في الألم أنه هو هو الملكوت!

لذلك ما من شهيد قبل الموت من أجل الإسم المبارك إلا وكان الفرح والسرور ينطلقان في وجهه بعمل الروح القدس، مع ظهور المسيح عياناً. أما دم الشهداء المسفوك فكان يُحسب أنه شركة حقيقية في كأس دم المسيح: [أيها الرب الإله القادر على كل شيء، أباركك لأنك رأيت أن تنعم عليَّ في هذا اليوم وفي هذه الساعة أن أشارك ــ مع عداد شهدائك ــ في كأس مسيحك وأعبر إلى الحياة الأبدية.] الشهيد بوليكاربوس.

هذه هي شركة دم المسيح التي يقول عنها القديس بولس الرسول في وصف كأس البركة. أي إن الدم الذي نشربه يسكن أعماقنا بكل قوته وقدراته ومواهبه!! وكيف نحظى بشركة دم المسيح ولا تكون لنا شركة في «آلام المسيح» ونعتني أو نهرب من الآلام التي تأتي علينا أو حتى نتذمر عليها؟؟

إن علامة الشركة الصادقة في دم المسيح هي شركة صادقة في آلامه، وعلامة صدق الشركة في آلام المسيح هي التعزية التي تملأ قلوبنا، وفرح الروح القدس الذي ينطق أن المسيح نفسه معنا بروحه القدوس: «صابرين في الضيق» (رو١٢: ١٢)؛ «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة.» (يع١: ٢)

أليست الآلام، إذن، هي تاج الساعين للخلاص؟ «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة لأنه إذا تزكَّى ينال إكليل الحياة (الأبدية) الذي وعد به الرب للذين يحبونه.» (يع١: ١٢)

هـ ــ «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب.» (مت١١: ٢٩):

دعوة ملحّة خرج فيها المسيح عن تحفُّظه، لأنه رأى في هذه الدعوة أساس المسيرة وراءه!

لأنه إن كان هناك نداء أن نتمثل بالمسيح أو نقتدي به، فمن هنا نبتدىء نجلس تحت رجليه كمعلم ونستقي منه كطفل يرضع «من ندى السماء» (تك٢٧: ٢٨)، نرضع منه وداعته عينها واتضاعه الفريد في نوعه وقياسه. الطفل لا يدرس فن الرضاعة وأصولها

قبل أن يلتهم ثدي أمه، بل بعد أن يولد مباشرة يعرف فمه أين الثدي ويرضع مباشرة كخبير دون أن يدري عقله شيئاً عن هذه العملية قط.

لذلك حينما يقول المسيح: «تعلموا مني»، فهو يضع ثدي نعمته في فمنا لنرضع في الحال من دسم السماء دون أي تردد أو تفكير أو انتظار أو فحص في مدى الإستحقاق، لأن الطفل لو فعل هذا ما رضع قط وما عاش: «أفغر فاك فأملأه» (مز٨١: ١٠)؛ و«نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس.» (يو٢٠: ٢٢)

إن الصعوبة العظمى التي تحرمنا من قبول تعليم المسيح الروحي أنه يحتاج إلى فتح الفم الراضع للنعمة لا فتح الأذن الميتة!! «وُجد كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي» (إر١٥: ١٦)؛ أو بالحري يحتاج إلى فتح الأذن الروحية التي توصل للقلب مسكن الروح مباشرة دون الأذن التي توصل إلى العقل الرقيب الناقد الذي يقيس الروحيات على الجسديات حسب المقاييس النسبية التي يتحكم فيها المنطق البشري، ولكن الله يطلب الأذن الروحية: «من له أذنٌ فليسمع ما يقوله الروح» (رؤ٢: ٢٩)، لأن «الكلام الذي أُكلمكم به هو روح وحياة» (يو٦: ٦٣). والروح لا يمكن أن توجهه بيمينك أو عقلك ولا تستطيع أن تحول مساره بإرادتك، فهو يهبُّ حيث يشاء ولا تعرف من أين يأتي ولا إلى أين يمضي، ولكن الذي يقبله يملأه، فيولد له من جديد وبه سمات المسيح!! «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد.» (١بط١: ٢٣)

إن كلام المسيح هو بحد ذاته «قوة والدة»، فإذا استقر تعليم المسيح في القلب بتحفظ شديد مع فرح وعناية وسهر، فإنه يقوم بتغيير شكلنا وتجديد ذهننا فنكون خليقة جديدة، وشيئاً فشيئاً لا نعود نشبه أولاد هذا العالم، بل نتحول لنكون حسب صورة والدنا. فحينما يقول المسيح: «تعلموا مني» فهو أمر إلهي بمثابة فتح طريق سري للغاية بين قلب المسيح وقلبنا حسب قوة سر كلمة المسيح، ليصير قلبنا حسب قلبه في الوداعة والتواضع.

والمسيح هو نفسه الذي سيعطي صفاته مجاناً. هنا يقف استعمال الحذق والمهارة والحكمة والكفاءة البشرية عاطلاً إن لم يكن مانعاً لقبول سر المسيح: «لأن المسيح لم يرسلني لأُعمِّد بل لأُبشِّر لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح»، لأن «كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، أما عندنا نحن المخلَّصين فهي (ليست كلمة بل فعل) قوة الله» (١كو١: ١٧ و١٨). «المسيح (هو) قوة الله وحكمة الله» (١كو١: ٢٤)... المسيح يأمر فيكون.

لذلك، حينما يقول المسيح: «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب»، فهذا يعني في الحقيقة توجيه قوة فعَّالة مؤثرة نحونا لنصير حسب قوله بحسب هذه القوة، ودعاء متواضعي القلب. وكلُّ ما يطلبه المسيح أن تكون الأذن الروحية مفتوحة وليس أمامها عائق عقلي مشكك، حتى تأخذ فعلها مباشرة في القلب وتنمو داخلنا إلى أن نبلغ إلى قياس المسيح.

ــ «لم نزلْ مصلِّين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي، لتسلكوا كما يحق للرب في كل رضى، مثمرين في كل عمل صالح، ونامين في معرفة الله، متقوِّين بكل قوة بحسب قدرة مجده لكل صبر وطول أناة بفرح، شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين في النور الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته.» (كو١: ٩ــ١٣)

المسيح حينما يقول: «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم»، فهو بذلك يؤهلنا بقوته لنتحرك معه بلا عائق، ليعبر بنا من سلطان ظلمة العادات والأخلاق والسلوك الفاسد الذي حرمنا من النور وعوَّق سعينا إلى ملكوته، وذلك ليؤهِّلنا إلى شركة ميراثه مع القديسين في النور. هذه هي مشيئة المسيح الديناميكية أي الفعَّالة التي يلح القديس بولس الرسول أن نمتلىء بالروح من معرفتها، فندرك أنها قوة تنتقل إلينا سرًّا بمقتضى قدرة مجده هو في العطاء المجاني حتى نتربص لها بكل صبر بالصلاة وبطول أناة، لنقتنصها لأنفسنا، فينطلق قلبنا ولساننا بالشكر، إذ سنعرف كيف أنه

بدون ثمن قد جذبنا، ليؤهلنا لشركة ميراثه مع القديسين.

لاحظ هنا أن المسيح هو صاحب المشيئة وصاحب القوة التي تجذبنا لشركة ميراثه بمقتضى قدرة مجده، والدور الذي علينا أن نقوم به هو أن نمتلىء من هذه المشيئة ونتعرف عليها بحكمة الروح، فنسلك فيها. الذي يطلبه المسيح منا **أن نرضى تماماً بدعوته** لنبدأ السلوك والثمر الصالح والنمو كالبذرة التي ارتضت أن تخضع ليد الزارع باتضاع وانسحاق فتبقى تحت الأرض مدة قليلة فترى نفسها كيف انبثقت إلى أعلى، وقوة الله هي التي تنميها «**وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفَّعه الله**» (في٢: ٨و٩). أي أن كل انصياع لكل حركة تضعنا إلى أسفل بتحرك النعمة، مهما ظهرت أنها ظلم واضطهاد، فإنها تؤول بالصبر إلى ارتفاع لفرح لا يُنطق به ولراحة تفوق كل ضيق عانيناه.

إنه يشير إلى ذلك من بعيد، إنما بصورة سرية عجيبة: «تعلموا مني (تعلموا من آلامي وصبري واضطهادي وظلمي وضيقي وحزني الذي بلغ إلى الموت، وانظروا ماذا انتهى إليه هذا الاتضاع وهذا السلوك الذي سلكته بوداعة) لأني وديع ومتواضع القلب (وهذا كان سرَّ نصرتي، فإذا قبلتم أعمال وداعتي واتضاعي فسأهبكم شركة في مجدي)».

يستحيل أن نكون ودعاء متضعين كالمسيح باجتهادنا، وتدريبنا، وعرق جبيننا، حتى لو سففنا التراب، لأننا لسنا في طبيعة التراب أصلاً بل في طبيعة المسيح، وهو الذي شاء أن يعطينا ما له. فبمشيئة المسيح نأخذ ما للمسيح وليس بمشيئتنا ــ فقط نطلب هذه المشيئة ونرتضي بكل ما تضعه فينا وعلينا بصبر وطول أناة «**أن تمتلئوا من معرفة مشيئته** في كل حكمة وفهم روحي، لتسلكوا كما يحق للرب في كل رضى... نامين في معرفة الله (كل يوم) متقوِّين بكل قوة بحسب قدرة مجده لكل صبر **وطول أناة بفرح.**» (كو١: ٩ــ١١)

لقد ركَّز المسيح على وداعته واتضاع قلبه، لأنهما كانا أساسين لحمل الصليب،

والدعامتين اللتين كانت طاعته للآب تسير عليهما!!

أما بالنسبة لنا، فيكمن فيها سِرُّ قوة صليب المسيح الممنوحة لنا، للعبور فوق كافة الضيقات للدخول مع المسيح إلى راحة المسيح «فتجدوا راحة لنفوسكم».

فهل نقبل أن نخضع، بالروح وليس بالعقل، لهذا التعليم الديناميكي أي الفعَّال المحرِّك الذي يظهر للفكر العادي أنه تعليم للتهذيب في حين أنه هو بحد ذاته قوة فعالة تدفع الإنسان من الأرض إلى السماء، من الضيق إلى المجد، من الموت إلى الحياة؟

ز — غنى المسيح:

«لي أنا أصغر جميع القديسين **أُعْطِيَتْ هذه النعمة** أن أُبشِّر بين الأمم **بغنى المسيح** الذي لا يُستقصى.» (أف٣:٨)

العجب العُجاب أن يصدر هذا الإستعلان الذي يدعمه الوحي الإلهي من القديس بولس، الذي هو شاول الذي كان يضطهد يسوع اضطهاداً وصل إلى قتل وتشريد الذين كانوا ينادون باسمه!!

ولكن لا عجب بعد أن عرفنا أن نعمة الله أي محبته قد انسكبت في قلب بولس بالروح القدس بعد العماد مباشرة، وحلَّ المسيح في قلبه بالإيمان ونطق بما عرفه بالروح إن «الروح يفحص كل شيء **حتى أعماق الله**» (١كو٢:١٠). وما هي أعماق الله؟ وكيف استُعلنت هذه الأعماق إلا بيسوع المسيح وفي يسوع المسيح؟ أليس هو مَنْ قيل عنه بحسب الوحي الإلهي: «الله بعد ما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة **في آبنه**، الذي جعله وارثاً لكل شيء، الذي به أيضاً عمل العالمين، الذي وهو بهاء (شعاع) مجده ورسم جوهره وحاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته؛ بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي، صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث آسماً (آبن الله) **أفضل منهم**.» (عب١:١—٤)

ولكن ماذا قال الله للأنبياء قديماً عن آبنه المسيا؟ الذي صار بالتجسد هو هو يسوع الناصري المصلوب؟؟

لقد أعلن الله لإشعياء النبي عمَّن سيكون المسيا الآتي، فكتب إشعياء وهو يتعجب مما يكتب: «لأنه يولد لنا ولد (بالتجسد) ونُعطَى آبناً (آبن الإنسان) وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى آسمه عجيباً (آبن الله)، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية.» (إش٩:٦—٧)

هذا ما كان يعرفه شاول، ولكنه بعد أن انفتحت بصيرته كنبي وأعظم من نبي للعهد الجديد، أدرك أن هذا هو هو يسوع المصلوب!! فأضاف على ما سمعه إشعياء من فم الله ورآه مبشِّراً به العبرانيين بني جنسه ليتحققوا أن يسوع هو المسيا بهاء مجد الله ورسم جوهره، وهو نفسه الذي أدركه يوحنا الرسول أنه «كلمة» الله ذاتها، اللوغُس، الذي كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان والذي فيه صارت للإنسان حياة أبدية مع الله، فهو خالق العالمين أو الحياتين: حياة هذا الدهر بكل ما فيها، وحياة الدهر الآتي بنورها الحقيقي الذي أضاء ظلمة الإنسان:

— «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت آبن محبته... الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة، فإنه فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكلُّ به وله قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل... فيه سُرَّ أن يحلَّ كل الملء.» (كو١:١٣—١٩)

وظل القديس بولس الرسول يخبر كل أيام حياته بفضل الذي دعاه من الظلمة إلى نوره العجيب.

•

لقد كتب الإنجيليون الأربعة مع بطرس الرسول و يعقوب ويهوذا في رسائلهم عن غنى

المسيح، ولكن ليس كبولس الرسول الذي بلغ المدى ونهاية العرض والطول والعمق والإرتفاع، وأخيراً اعترف أنه «غنى» لا يُستقصى قط. يقول ما لم ترَعين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر هذا أعلنه الله بروحه لبولس الرسول، فاستقر أخيراً أنه لا يسوغ أن ينطق أو يكتب بكل ما رأى وسمع عن هذا الغنى الذي في يسوع المسيح والذي أعده ليكون ميراثاً لنا!! ألم يحلُّ الروح القدس في قلوبنا؟ ألم يهبنا المسيح في موته وقيامته وصعوده شركة في هذا كله؟ ثم بعد ذلك كله سكب فينا روحه، أي روح التبني، الذي به نصرخ نحو الله يا أبا الآب؟ ثم إن الروح نفسه صار يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله بعد أن تبنَّانا الله في المسيح، إذ ولدنا ثانية لا من دم ولا من جسد، بل من الله بالماء والروح والكلمة والدم؟ وإذ صرنا أولاداً، صرنا ورثة أيضاً (أي بالتالي) ورثة الله!! وارثون مع المسيح في كل غناه!!؟

ولكن ليس هيِّناً أو يسيراً كل هذا الذي أعلنه الله للقديس بولس عن غنى المسيح الذي ورثناه، آسمعه يقول، والأمر يخصُّك أنت:

— «إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم، أنه بإعلان عرَّفني **بالسر**... الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح الذي في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر (حتى كل ما أُعلن في العهد القديم حتى زمن الرسل) كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح (معلمي العهد الجديد).»

— وما هو سِرُّ المسيح هذا الذي يدخل في دائرة غنى المسيح؟

«... أن الأمم شركاء في الميراث، والجسد، ونوال موعده (الروح القدس) في المسيح بالإنجيل.» (أف٣: ٢—٦)

إذن، فقد عرَّفنا السر، سر المسيح الذي هو لي ولك، أننا شركاء في ميراث كل غنى المسيح الذي لا يُستقصى، وشركاء في الجسد أي متحدون بالمسيح في الله، وشركاء في الروح القدس، وبالتالي شركاء في كل صفات المسيح ومواهبه وعطاياه. آسمع المسيح

وهو يكلم الآب: «كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا ممجَّد فيهم» (يو١٧: ١٠)، «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني» (يو١٧: ٢١). أي إن الإتحاد بالمسيح والآب سيكون هو سبب الإيمان وليس العكس.

هنا المسيح يطلب لنا الإتحاد به وبالآب، هذا هو «إيمان المسيح» الذي أكمل كل مطاليبه على الصليب بسفك دمه!! هذا هو غنى المسيح الذي لا يُستقصى ويتجاوز كل ما هو معقول!! «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» (يو١٧: ٢٢). لاحظ قول المسيح عن المجد الذي له بصورته المتبادلة العجيبة:

— **«أنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني».**
— **«أنا ممجَّد فيهم».**

وما هو مجد المسيح إلا قيامته الفائقة وارتفاعه إلى أعلى السماوات فوق كل رياسة وسلطان وكل آسم يسمَّى في هذا الدهر، الذي تعيَّن به أنه هو آبن الله؟ مجده هذا كله أعطاه لنا المسيح، فصار المسيح ممجَّداً فينا، أي مُعلِنٌ فينا قيامته ولاهوته وبنوته الذاتية للآب: «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق» (كو٣: ١)، «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» (أف٢: ٦)؛ الذي «فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً وأنتم مملوؤون فيه.» (كو٢: ٩و١٠)

هذا أمر واقع أكمله المسيح، ولا يحتاج منا إلى سؤال وطلبة. وصحيح إنه فوق متناول العقل، ولكن ما ذنب المسيح والله؟ ألأنه أعطانا أكثر مما نطلب أو نفتكر، وفوق ما نتصوره، يكون ذلك مدعاة لأن نحكِّم العقل فوق حكمة الله؟ يستحيل أن تخضع حكمة الله لحكمتنا، ومحال أن تصبح عطية المسيح — وعطية المسيح هي نفسه — خاضعة لإدراكنا أو إحساسنا أو تفكيرنا، هنا عمل الإيمان الذي عمله فينا الله بواسطة المسيح «الكلمة».

إن سر الخليقة العتيقة، أي العالم بكل ما فيه، يخضع لقانون الخلقة الذي هو: «الله **أمر فكان»!!** إن الخليقة الحاضرة بكل حجمها المهول غير المحصور تحت فكر أو قدرة بشرية مهما أوتي الإنسان من حكمة وعتق وشاخ في العلم والمعرفة، هذه الخليقة خُلقت بكلمة الله، الله أمر فكان العالم.

فهل نعثر إذا كانت الخليقة الروحية الجديدة على نفس المستوى؟ «مولودين ثانية لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى (بل) **بكلمة الله الحية** الباقية إلى الأبد» (١بط١: ٢٣). علماً بأن المسيح نفسه هو هو الذي عمل الله به العالمين!! العتيق والجديد، كل ما في الأرض وكل ما في السماء. مع أن الروحاني خُلق وتم تدبيره قبل المادي: «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف١: ٤)، «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا، حسب **غنى** نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة إذ عرَّفنا بسِرِّ مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في **السموات** (أولاً) وما على الأرض في ذاك.» (أف١: ٧-١٠)

هذا هو استعلان الله الصادق للقديس بولس الرسول، وهذه هي بشارته التي تنطق بدرايته الفائقة بسر المسيح فعلاً، الأمر الذي جعله لا يهدأ ليل نهار في كل الأقطار لـ«أنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله، **خالق الجميع بيسوع المسيح** = لكي يعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة (أنا وأنت مع بولس)، **بحكمة الله المتنوعة**، حسب قصد الدهور، **الذي صنعه في المسيح يسوع** ربنا الذي به لنا جراءة وقدوم **بإيمانه** (هو) عن ثقة.» (أف٣: ٩-١٢)
وماذا يبقى لنا الآن إلا أن نقول آمين.

***

— ٦ —

مسيح الرجاء

□□□

«متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، وصبر رجائكم، ربنا يسوع المسيح، أمام الله وأبينا.» (١تس١: ٣)

لولا أن المسيح هو رجاؤنا الوحيد ورجاء البشرية كلها، ما سمعنا عن إنجيل ورسل وقديسين وشهداء!

فوق أن المسيح صُلب وقُبر وقام وصعد إلى أعلى السموات، فوق هذا كله وبعد هذا كله فإن شخص المسيح الحي يبقى معنا كأقوى سند في هذا العالم وأعظم عزاء في الضيق، خاصة للإنسان الضعيف المسكين!

— «لا أترككم يتامى. إني آتي إليكم.» (يو١٤: ١٨)

— «إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون. في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو١٤: ١٩و٢٠)

— «والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي.» (يو١٤: ٢١)

— «لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً.» (يو١٥: ٥)

— «عرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.» (يو١٧: ٢٦)

— «كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا.» (يو١٥: ٩)

— «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (متى٢٨: ٢٠)

هذا تحدَّد، لا من وعد المسيح نفسه فحسب، بل وأيضاً من تجربة الرسل والشهداء والقديسين والكنيسة كلها، أنه حقاً كذلك.

— «الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو١: ٣و٤)

— «فقال الرب لبولس برؤيا في الليل لا تخف بل تكلم ولا تسكت لأني أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك.» (أع١٨: ٩و١٠)

— «عالماً أن خَلْعَ مسكني قريب كما أعلن لي ربنا يسوع المسيح أيضاً.» (٢بط١: ١٤)

— «الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح الذي في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح.» (أف٣: ٤و٥)

من هذه الآيات يتبين كيف ظل الرب يمارس حضوره غير المنظور، والمنظور أحياناً كما ظهر لبولس، ليعلن لهم عن قيادته للكنيسة وعن سر الخلاص يقويهم ويعزيهم ويلهمهم ماذا يعملون.

فالمسيح حق ولا يزال يحقق بالفعل وعده المقدس: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت٢٨: ٢٠). لقد أثبت المسيح أنه رجاؤنا حقاً. وهكذا يشجعنا القديس بطرس الرسول أن نسلك كما سلكوا هم: «الذي وإن لم تروه تحبونه، ذلك وإن

كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرحٍ لا يُنطق به ومجيدٍ.» (١بط١: ٨)

أما القديس بولس الرسول فيركز في رسالته إلى أهل تسالونيكي على أن المسيح هو صبر رجائهم: «متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبينا» (١تس١: ٣). ويلاحظ هنا أن المسيح يجيء في هذه الآية كموضوع الرجاء. فلم يكتب: «رجاؤكم في المسيح» بل «صبر رجائكم ربنا يسوع المسيح»:

τῆς ὑπομονῆς τῆς ἐλπίδος τοῦ κυρίου ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ.

أي أن المسيح هو بنفسه رجاؤنا الذي نعيش عليه ونستمد منه أملنا وتعزيتنا بل هو أيضاً أملنا في هذا العالم وعزاؤنا الوحيد، كما كان للقديس بولس وبقية الرسل والكنائس. وكنيستنا تصلي إليه: «أنت هو رجاؤنا كلنا»، و«يا رجاء من ليس له رجاء»، و«عزاء صغيري القلوب».

ولكن لا يظن أحد أن قوة رجاء وعزاء المسيح تعمل لهذا الدهر، أي مجرد تعزية، فهذا الدهر لا عزاء فيه ولا رجاء له لأنه قد وُضع في الشرير، بل نحن نستمد من المسيح رجاءً وعزاءً للحياة الأبدية، فالمسيح لا يمسح دموعنا هنا ولا يورثنا شيئاً من غناه لحساب هذا العالم، بل يمدنا من خلال حضوره الشخصي فينا الآن بإيمان ورجاء وجودنا معه هناك لميراث حياتنا السعيدة مع أبيه الصالح: «إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس.» (١كو١٥: ١٩)

ولكن رجاءنا حتى من خلال دموعنا وأحزاننا وأثقالنا قائم ثابت في المسيح لقيامة وحياة أبدية وشركة فرح ومسرة وسعادة حقيقية «مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح».

وإن كان سيمسح هناك من عيوننا كل دمعة تساقطت هنا، فرحباً بالدموع، أليس هو الذي يخاطبه داود النبي: «اجعلْ أنت دموعي في زقِّك. أما هي في سِفرِكَ» (مز٥٦: ٨)؟

وهكذا فإن «رجاء المسيح» يتجلى في قلوبنا الآن كقوة دافعة تمدنا بطاقة للحياة بلا تخاذل ولا يأس فنتخطى بها كل هموم الدنيا وضيقاتها مهما بلغت حتى الموت. أليس بعد الموت قيامة سَبَق وأخذنا سرَّها في كياننا؟ ألم نَقُم مع المسيح؟ ألم يهبنا المسيح روحه القدوس ليضمن قيامتنا منذ الآن؟ ألم يعطنا وعداً إلهياً: «إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون» (يو١٤: ١٩). أو بماذا تقوم شهادتنا للمسيح الآن إلا بالرجاء الذي نستمده منه؟ أو كيف نثق في كل مواعيد المسيح إلاَّ بثقة الرجاء الذي انغرس في لحمنا وسرى في دمنا؟

ألم يقل الوحي الإلهي على فم القديس بولس الرسول: «نحن بالرجاء خلصنا» (رو٨: ٢٥)، جاعلاً الرجاءَ قوةً تجمع الماضي والحاضر والمستقبل معاً!!؟ ولكن يستطرد القديس بولس لينفي من ذهننا إطلاقاً أي رجاء في هذا الدهر أو في دائرة المنظور فيحبس رجاءنا في مسيح القيامة والحياة الأبدية فقط، «ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً، ... ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر.» (رو٨: ٢٤و٢٥)

آه! لقد برَّح هذا التوقع بجميع القديسين بلا استثناء، والكنيسة أيضاً على مر الدهور، وخاصة كنيسة القرون الأولى، كنيسة الحب والنسك والتصُّوف الصادق، كنيسة انتظار الرب لا بتوقُّع فقط بل بفارغ الصبر. وفي هذا يقول القديس بطرس الرسول: «منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب» (٢بط٣: ١٢)، حتى أنه في صميم القداس في القرون الأولى «في قداس الديداخى»[1] كان الأسقف بعد أن يصلي و يستكمل القداس يقول، والشعب يردد وراءه بصراخ: «ماران آثا» الذي تفسيره: «تعالَ يا رب»!

وليس من فراغ قد تسجَّل لنا هذا النداء في صلاة القداس، بل هو مأخوذ من سفر الرؤ يا حيث يسمع القديس يوحنا في ختام الرؤ يا الوعد الإلهي بمجيء الرب يسوع ثم الجواب بالآمين: «يقول الشاهد بهذا ,نعم,: أنا آتي سريعاً. آمين تعالَ أيها الرب

(١) أنظر كتاب: «الإفخارستيا والقداس»، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ص٣٠١.

يسوع» (رؤ٢٢: ٢٠). وهكذا صارت بنصِّها وحروفها جزءاً لا يتجزأ من قداس الكنيسة، ولكن سقطت لما فترت المحبة المشتعلة، إذ ظن العقليون أنه مجيء منظور، فلما أبطأ العريس ناموا، ولكن ألم يحذرنا القديس بولس الرسول أن لا نترجى المنظور؟

ثم في خبرته الروحية — التي رأى فيها الرب وسمع كلمة من فمه — التي جاءت على أعلى مستوى يمكن للحواس أن تستشفه من خلال قناع الجسد، يقول القديس بولس الرسول: «والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني» (أع٢٢: ٩). هكذا يظهر الرب لمتَّقيه و يتكلم معهم، فيراه واحد ولا يراه الآخر، و يسمعه الواحد ولا يسمعه الآخر: «اثنتان تطحنان على الرحى تُؤْخذ الواحدة وتُترك الأخرى.» (مت٢٤: ٤١)

عجيب هو رجاء المسيح هذا، فهو رجاء لا يعمل إلا مع «المنتظرين والطالبين سرعة مجيء يوم الرب». ألم يختم الرب — الشاهد الأمين — سفر الرؤيا آخر أسفار الكتاب المقدس: «نعم أنا آتي سريعاً»؟ وكأني بالصلاة التي تخلو من «ماران آثا»، تخلو أيضاً من رجاء المسيح!!

ثم إن لم يكن ميراثنا السمائي الفاخر مع المسيح في الله حياً في رجائنا الآن، فهل نستطيع أن ننجو من شهوة المواريث الأرضية واقتناء الأشياء التي في العالم؟ ألم يقُل الوحي الإلهي: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم» (١يو٢: ١٥). ولماذا هذا النهي القاطع؟ أليس لكي يمتلىء رجاؤنا «بميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل المحفوظ في السموات لأجلكم» (راجع ١بط١: ٤)؟ هذا كان عند الرسول بولس أمراً على مستوى اليقين الثابت: «لأننا نعلم أنه إن نُقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بيدٍ، أبديٌّ.» (٢كو٥: ١)

أما علامة الرجاء الحي في المسيح الآن من نحو الحياة معه هناك وتذوُّق ملكوته، فتأتي بوجه آخر لا يقِلُّ قوة، وفي نفس الوقت لا يُضعف رجاءنا في انتظار مجيء المسيح. هذا

يعلنه القديس بولس الرسول كاشفاً عن وجدان واقعي يز يد رجاءه في المسيح وضوحاً: «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح» (في ١: ٢٣). إذن، فالرجاء يتعلق باللُّقيا سواء من طرفه هو «سأراكم فتفرح قلوبكم» (يو١٦: ٢٢)، أو من طرفنا نحن: «لأننا سنراه كما هو.» (١يو٣: ٢)

نعم، إن كنا حقاً نشتهي أن ننطلق باستعداد اللُّقيا، بكمال السعي، بحفظ الإيمان، فحقاً يكون رجاؤنا حياً في المسيح. وإن كنا ننظر إلى الرب كل يوم في الصلاة بوجه مكشوف ونتفرس في وجهه لنتغير من مجد إلى مجد بحسب عمل الرب الروح، فحينئذ سيتربى فينا يقين الرجاء بلُقيا وجه المسيح وجهاً لوجه: «فإننا الآن ننظر في مرآة، في لغز، لكن حينئذٍ وجهاً لوجه» (١كو١٣: ١٢). ولكن للأسف فإن ضعف الترجمة هنا يخفِّض من حرارة المعنى في اللغة اليونانية الأصلية التي كتب بها القديس بولس الرسول، فهي في الأصل اليوناني: πρόσωπον πρὸς πρόσωπον ، حيث تفيد شخصاً مشدوداً لشخص أو شخصاً متجهاً نحو شخص، ونفس الحرف πρός هو الذي استخدمه إنجيل القديس يوحنا: «والكلمة كان عند الله» (يو١: ١). فكلمة «عند» مترجمة عن حرف πρός . وهي المعيَّة التي أفصح عنها القديس بولس الرسول كثيراً وصفاً لحالة وجودنا مع المسيح فوق وحالة كوننا مع المسيح.

أما الآن، فنحن نختبر حالة وجودنا في المسيح سراً بالروح كإتحاد غير منظور. ولكن هناك يُستعلن السر: «نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو. وكلُّ من عنده هذا الرجاء به يطهِّر نفسه كما هو طاهر!!!» (١يو٣: ٢—٣)

وهذا الرجاء الذي يكشف عن دقائقه القديس يوحنا الرسول بقوله إننا سنراه كما هو: «لأننا سنكون مثله»، يوضح سببه القديس بولس الرسول بقوله: «فإن سيرتنا نحن هي في السموات، التي منها ننتظر مخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (في٣: ٢٠و٢١)، أي سنكون مثله. و بذلك فإن هذا الرجاء الحي نجده عقيدة ثابتة بنصِّها عند القديس يوحنا الرسول كما هي عند

القديس بولس الرسول أيضاً. وهذا يعطينا فرصة لكي نستمع إلى نصيحة القديس يوحنا الرسول تعليقاً على ذلك أن الذي عنده هذا الرجاء عليه أن يُقبل حتماً على تطهير نفسه من شوائب شهوة العالم والجسد ليكون على مستوى اللقاء بهذه الرؤ ية، لكي لا نخجل منه، لأنه واضح أن الرجاء الحي المستمد من شخص المسيح له حرارة وقوة قادرتَيْن على التطهير: «والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى إذا أُظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه.» (١يو٢: ٢٨)

نعم، هذا الرجاء العجيب كفيل بأن يحيِّد شدة جذب العالم لنا ويجعله وكأنه لا يكون!! «فأقول هذا، أيها الإخوة، الوقت منذ الآن مقصَّر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم؛ والذين يبكون (على ما فيه ومَنْ فيه) كأنهم لا يبكون؛ والذين يفرحون (بهداياه ومجده وماله وعزِّه وهنائه) كأنهم لا يفرحون؛ والذين يشترون (و يكنزون مالاً وعقاراً ومقتنيات) كأنهم لا يملكون؛ والذين يستعملون هذا العالم (للظهور واكتساب المراكز وإظهار القوة والإقتدار) كأنهم لا يستعملونه، لأن (عند الذين يترجَّون الرب والحياة التي لا تزول) هيئة هذا العالم تزول.» (١كو٧: ٢٩—٣١)

***

— ٧ —

مسيح المحبة

«لأن محبة المسيح، تحصرنا» (٢ كو٥: ١٤)

□□□

«ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم وأنتم متأصّلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين... وتعرفوا «محبة المسيح» الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف٣: ١٧ — ١٩)

إن مسيحيتنا قائمة برُمّتها على المحبة.

محبة الآب:

— «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو٣: ١٦)

— «لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.» (يو١٧: ٢٤)

— «وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني.» (يو١٧: ٢٣)

— «الآب يحب الإبن، وقد دفع كل شيء في يديه.» (يو٣: ٣٥)

— «الآب يحب الإبن ويريه جميع ما هو يعمله وسيريه أعمالاً أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم.» (يو٥: ٢٠)

— «لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت.» (يو١٦: ٢٧)

— «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.» (يو١٧: ٢٦)

محبة الإبن:

— «ولكن ليفهم العالم أني أحب الآب، وكما أوصاني الآب هكذا أفعل.» (يو١٤: ٣١)

— «كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا.» (يو١٥: ٩)

— «أثبتوا في محبتي، إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي. كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته.» (يو١٥: ٩و١٠)

— «إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى.» (يو١٣: ١)

— «أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل٢: ٢٠)

— «أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به.» (يو١٥: ١٤)

إذن، فسرُّ بذل الآب للإبن لتكميل خلاص الإنسان قائم على أساسين:

الأول: قائم على محبة الآب للإبن، التي هي من قبل إنشاء العالم، حيث يتجلى الصليب كعمل يخلو تماماً من قسوة الآب على ابنه، بل يقوم على ملء المسرة بسبب المجد الذي سيؤول إليه الصليب سواء للمصلوب أو الذين صُلب لأجلهم. لذلك قيل إن الآب «سُرَّ بأن يسحقه بالحزن.» (إش٥٣: ١٠)

والثاني: يقوم على أساس محبة الإبن للآب كلازمة لزوماً مطلقاً لتكميل الطاعة حتى الموت موت الصليب.

ثم إن هدف هذا الخلاص الدموي الذي تم على الصليب يقوم أيضاً على أساسين:

الأول: حبُّ الآب لنا الذي يساوي آلام المسيح على الصليب تماماً، وإلا امتنع الآب عن هذه التضحية المؤلمة.

الثاني: حب المسيح لنا وإلا ما استطاع أن يُقبِل على الذبح والموت: «من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب» (عب١٢: ٢)، أي مسرته بنصرته هو، ومسرته بنصرتنا نحن فيه: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل٢: ٢٠)

وبهذا الأساس، أساس الحب الذي يقوم عليه الصليب والفداء من كافة نواحيه وأطرافه، انكشف سر الحب هذا بجميع أوضاعه، سواء حب الآب لنا أو حب المسيح لنا، السر الذي كان مخفياً منذ الدهور؛ كما انكشف عمق سر منبع الحب الأصلي الذي يربط الآب بالإبن والإبن بالآب، الذي هو جوهر الله في ذاته الذي انتقلت إلينا صورته طبق الأصل: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به (من قبل إنشاء العالم) وأكون أنا فيهم (سر الإتحاد القائم على المحبة المخفية في دم صليبه).» (يو١٧: ٢٦)

أي إن طاقة الحب الإلهي الممنوحة لنا مجاناً والمخطَّط لها من قبل إنشاء العالم، سواء من الآب نحونا أو بالمسيح نحونا، هي القوة التي تتوقف عليها علاقتنا الشخصية بالآب والإبن من خلال هذه الشركة السرية الموضوع أساسها مجاناً فينا والتي انسكبت علينا في قلوبنا بالروح القدس: «لأن محبة الله (الآب والإبن) قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا.» (رو٥: ٥)

كما أن طاقة الحب هذه سواء من الآب أو من الإبن هي التي أنشأت طاقة حب مماثلة من جانبنا نحو الآب والإبن: «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (١يو٤: ١٩)، وكأن كلمة «لأنه» تفيد أن طاقة حب الله لنا تنشىء فينا طاقة حب نحوه مساوية لها!!!

وهنا يرفع القديس يوحنا الرسول هذه المعادلة إلى حقيقة ثابتة: «نحن قد عرفنا

وصدَّقنا المحبة التي لله فينا: الله محبة: ومن يثبت في المحبة (هذه) يثبت في الله.» (١يو٤: ١٦)

على أن استعلان سِرِّ محبة الله فينا ومحبتنا لله، لا يمكن أن يظهر على حقيقته الصادقة، إلا إذا شهدنا للمسيح لأنه مركز المحبة بيننا وبين الله: «بهذا أُظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل آبنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به» (١يو٤: ٩). ولكن حبنا له هو الثاني دائماً بعد حبه لنا على مستوى الصليب: «في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل آبنه كفَّارة لخطايانا» (١يو٤: ١٠). إذن، صدق المحبة سواء من الله لنا أو منا لله لا يقوم إلا بقبول المسيح مصلوباً، ثم الشهادة له باعتبار أنه عمل محبة الله من نحونا.

أما منتهى قصد محبة الله من جهة تقديم آبنه كفَّارة لخطايانا، فهو أن ينفتح أمامنا الباب والمجال لمحبة الله الآب ولأن نُدعى أولاداً له: «أُنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله» (١يو٣: ١). لذلك يستحيل أن يدرك أحد محبة الله الآب الحقيقية المؤهِّلة للحياة في ملكوته، إلا إذا كانت لنا حياة مع المسيح أولاً: «بهذا أُظهرت محبة الله فينا: أن الله قد أرسل آبنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به.» (١يو٤: ٩)

امتحان طبيعة محبتنا لله، المتمثلة بعمل دم المسيح فينا

الأمر الأول: ثبوت المحبة فوق كل شيء:

— «ونحن عرفنا وصدَّقنا المحبة التي لله فينا: الله محبة ومن يثبت في المحبة (بكل مطالبها: نحو الآب والإبن والآخرين) يثبت في الله والله فيه.» (١يو٤: ١٦)

أي أن كل من تكون محبته ثابتة على الدوام سواء تجاه الآب أو تجاه الإبن أو تجاه كل الناس، يكون قد تأكد من محبة الله نحوه المتمثلة في عمل دم المسيح فينا.

الأمر الثاني: الثقة في الضمير بالبراءة من الدينونة:

— «بهذا تكمَّلت محبة الله فينا، أن يكون لنا ثقة في يوم الدين.» (راجع ١يو٤: ١٧)

أي أن كل من لا يلومه ضميره من جهة الخطايا و يكون له ثقة في بر المسيح وعمل دمه لمغفرة خطاياه وتصبح له كامل ثقة من جهة عبور الموت إلى الحياة بقوة قيامة المسيح تكون محبة الله كملت فيه.

الأمر الثالث: محبة الآخرين:

الحب بالتضحية والبذل بمقتضى طبيعة الدم الذي فينا:

لأن الله أحبنا مجاناً و بذل ابنه من أجلنا لنتبرر بدمه ونحيا بروحه لذلك أصبح من المحتم علينا إن كنا قد قبلنا محبة الآب وتبرَّرنا بدم المسيح، أن نحب الآخرين لأن لا محبة الله التي في قلوبنا ولا دم المسيح يمكن أن يبقيا عاطلين فينا، بل هما يعملان على نفس طبيعتها: «بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة.» (١يو٣: ١٦)

فإذا فاضت محبة الله في قلوبنا نحو الآخرين ووضعنا نفوسنا و بذلناها من أجلهم، كان ذلك أكبر دليل على أن دم المسيح أحيانا وأن محبته قد انسكبت في قلوبنا: «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة، لأننا نحب الإخوة» (١يو٣: ١٤)، تماماً كعمل دم المسيح.

فإذا توقفت محبتنا نحو الآخرين، كان ذلك دليلاً على توقف تيار الحب والحياة الذي نستمده من دم المسيح: «من لا يحب أخاه يبقَ في الموت.» (١يو٣: ١٤)

وقد جعل القديس يوحنا الرسول «عمل البر»، أي كل صنوف أعمال العبادة من صوم وصلاة وسجود وتسبيح، مساو ياً لمحبة الإخوة: «كلُّ من لا يفعل البر فليس من الله، وكذا مَنْ لا يحب أخاه» (١يو٣: ١٠). والقديس بولس الرسول يقول: «المحبة

هي تكميل الناموس.» (رو١٣: ١٠)

كذلك جعل القديس يوحنا الرسول محبة الإخوة لازمة حتمية من لوازم كمال أو تكميل محبة الله: «الله لم ينظره أحد قط، إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا (كجماعة) ومحبته تكون قد تكمَّلت فينا» (١يو٤: ١٢). كما جعل القديس يوحنا كلَّ من يحب الآخرين بمثابة مَنْ ينال عهد البنوية من الله!! «أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله. وكل من يحب فقد وُلد من الله و يعرف الله، ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة» (١يو٤: ٧و٨)، علماً بأن البنوية نلناها بدم المسيح، والذي يكشف عن زوال المحبة بل زوال النور الإلهي من القلب هو دخول البغضة في قلب الإنسان: «مَنْ قال إنه في النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن في الظلمة ... وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه» (١يو٢: ٩و١١)، والظلمة هي غياب المسيح.

علماً بأن وصية المسيح الأولى، أو حسب تعبير القديس يوحنا الرسول «الوصية الجديدة»، تتناسب مع أو هي على مستوى دم العهد الجديد، وهي «هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم» (يو١٥: ١٢)، و بالتالي فالذي ينكر محبة أخيه فهو ينكر محبة المسيح، لأن المسيح وضعهما في حالة تساوٍ («كما أحببتكم»).

أما القديس بطرس الرسول فيرى في محبة المسيح حينما نمارسها بعضنا لبعض، أنها قادرة على أن تستر الخطايا، فلا ندين بعضنا بعضاً: «لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا.» (١بط٤: ٨)

الأمر الرابع: تعارض محبة الله مع محبة العالم أو الأشياء التي فيه:

— «إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب، لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظُّم المعيشة ليس من الآب بل من العالم، والعالم يمضي وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١يو٢: ١٥—١٧). وهذه الوصية التي

نكررها في كل قداس بعد قراءة الكاثوليكون لعل الله ينبه قلوبنا عند سماعها فنتذكر دم المسيح ونكفّ عن شهوة الجسد وشهوة هذا الدهر: «لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله» (رو٨: ٧)، «الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر.» (غل٥: ١٧)

لذلك إذا كنا قد تسلّحنا بدم المسيح، فمحبة الله حتماً تنسكب في قلوبنا بالروح القدس، فتصير درعاً مانعاً قاطعاً ضد كل مقاومات العالم وكل مصادر الخطر: «من سيفصلنا عن «محبة المسيح» أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عُرْي أم خطر أم سيف؟؟... في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا!» (رو٨: ٣٥و٣٧)

بل يمتد إيمان القديس بولس بحبه للمسيح وحب المسيح له و يتحدى السماء والأرض، والموت والحياة، وكل أعوان الظلمة، إن استطاعت أن تفصله عن محبة الله التي استُعلنت له في المسيح يسوع!! (رو٨: ٣٨و٣٩)

الأمر الخامس: طبيعة المحبة في ذاتها وانفعالاتها:

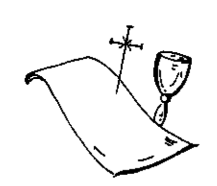
في أصحاح كامل يشرح القديس بولس الرسول بدقة وإسهاب لا يحتاجان إلى شرح أن كل المواهب إذا خلت من المحبة لا تعود مواهبَ قط ولا تُحسب أنها من الله!! ثم يعود ويخصص بالتحديد أن النبوات لها عمل زمني، لذلك فهي ستبطل، والتكلم بالألسنة سينتهي زمانها، وكل علم حتى الروحي واللاهوتي منه فهو لائق بهذا الزمان، وحتماً سيبطل. ولو قيس هذا العلم بما سنعلمه هناك لصار وكأنه هجاء طفل.

أما الإيمان والرجاء (والمحبة عليها كتاج) فهي باقية ما بقي الدهر وما بعد الدهر، فهي القوى المثلثة المنبعثة من دم المسيح والتي ستعطينا نطقاً وحكمة أمام الآب في السماء بكلام نُسبّح به أمام العرش السماوي مع «هارموني» (أي تناغم) أصوات ملائكة وضاربي القيثارات الذهبية، فالسماء مجالها لأن الله محبة!!

و يقول القديس بولس الرسول عن طبيعة المحبة الإلهية التي انسكبت في قلوبنا بالروح القدس أنها لا تسقط في مسعاها أبداً حتى ولو سقطنا في سبيلها أمواتاً، تنطلق هي مع أرواحنا تعمل عملها في السماء مضاعفاً.

والمحبة هي من طبيعة المسيح، نقية طاهرة من كل عيب، تزدهر في التأني والترفق، وتتضاعف بالقناعة، فهي لا تعرف الحسد مطلقاً، تقوى بالتنازلات حتى عن الحقوق فلا تحتمل الإفتخار أو الإنتفاخ، تنسى ما هو لذاتها، لا تحتد على أحد، ولا تظن السوء في أحد، تفرح بالحق فقط، تحتمل إلى أقصى حد، تصدّق ولا تتشكك، إذ تلقي الرجاء على الله، وتصبر على المحن. كالمسيح هكذا المحبة، مصلوبة دائماً، وقائمة أبداً ... (١كو١٣).

***



— ٨ —

«مسيح الخلاص»
وإهمال الخلاص

□□□

— «لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكلُّ، وبه الكلُّ، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمِّل رئيسَ خلاصهم بالآلام.» (عب ٢: ١٠)
— «فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره!!» (عب ٢: ٣)

●●●

أردت هنا أن أتكلم عن الإرتداد عن المسيح، الذي هو سمة العصر الحاضر أو إحدى علامات أواخر الأيام. ولكن يلزم أولاً أن نوفي حق الدرجة العظمى التي أوقفَنا عندها المسيح بدم صليبه، وهي كرامة **درجة الخلاص** المجاني، ليتبين لنا شناعة الإرتداد عن هذا الذي دفع المسيح ثمنه غالياً جداً.

ولكن أعود فأوضح أن الإرتداد درجات: فقبل أن ينكر الإنسان الإيمان بالمسيح، يبدأ يتنكّر لآلام المسيح بأنها غير معقولة وبالتالي غير مقبولة. وقبل أن يتنكر لآلام المسيح، يستكثر الآلام التي يتحتم أن نجوزها نحن ثمناً للإيمان بالمسيح. فإذا بلغ الإنسان هذه الدرجة، **يكون قد قطع الخيط** الذي يربطه بالدرجة الأولى والعظمى التي أوقفنا عليها المسيح، وهي درجة الخلاص، لنبدأ منها رحلة الحياة الأبدية.

علماً بأن احتمال الآلام والضيقات كثمن للإيمان بالمسيح، هي المحكُّ الوحيد

لصدق الإيمان بالمسيح أو قبول هبة الخلاص.

ولا يفوتني هنا أن أوضح أن التنكُّر للآلام والضيقات كضريبة للإيمان بالمسيح ونوال الخلاص إنما هي نتيجة لعاملين اثنين:

العامل الأول: الركون للراحة والتلذذ بمسرات الجسد والدنيا وعشق الذات أو الإنغماس في النظريات والأيديولوچيات أو المعاشرات الرديئة.

العامل الثاني: وهو الأهم. الذي نريد أن نوفيه حقَّه الآن، وهو الإهمال والجهل بعظمة الخلاص المعروض علينا مجاناً بالإيمان.

«فكيف ننجو نحن إن **أهملنا** خلاصاً **هذا مقداره.**» (عب ٢: ٣)

عظمة الخلاص: أو خلاصٌ «هذا مقداره»

أولاً: امتداده في الماضي (العمق):

لو فتحنا ذهننا وتتبعنا عصور الإيمان في العهد القديم كلها، لوجدنا أنها قامت وبلا استثناء على خلاص قادم صوَّره الروح للأنبياء بطرق مختلفة، كما تقول بداية سفر العبرانيين:

— «الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة...» (عب ١: ١)

ويعود أيضاً السفر إلى العبرانيين ليصف لنا إيمان هؤلاء الآباء والأنبياء بصورة واقعية عاطفية مؤثرة هكذا: «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد **بل من بعيد نظروها وحيُّوها** وأقرُّوا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض.» (عب ١١: ١٣)

تفهَّم الآن، أيها العزيز، كم من الآباء العظام وكم من الأنبياء وكم من القديسين، وإلى كم من السنين عاشوا وماتوا في إيمان الرجاء هذا ينتظرون وينظرون من بعيد، كما من وراء بحر مضطرب، هذا الخلاص، مقرِّين أنهم إنما يعيشون الغُربة

الحقيقية عن هذا الخلاص المعدّ، ثم يموتون!!

ولكن الآن، نحن ننظر ولا ننتظر: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع» (عب١٢: ٢)، نحيا الخلاص حتى ولو مُتنا «كمائتين وها نحن نحيا» (٢كو٦: ٩)، «من آمن بي ولو مات فسيحيا» (يو١١: ٢٥)، «وكلُّ من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو١١: ٢٦)، لأن الخلاص الذي أكمله الرب يسوع ليس فيه موت بل هو هو الحياة الأبدية!! «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله.» (كو٣: ١)

نحن الآن لا ننظر الحياة الأبدية كما من وراء بحر عاصف، بل نحن دخلنا ميناء الخلاص ماسكين بالحياة الأبدية بقوة، بيقين الإيمان «حتى بأمرين عديمي التغيُّر (الوعد والقسم) لا يمكن أن الله يكذب فيهما، تكون **لنا تعزية قوية**، نحن الذين التجأنا (إلى ميناء الخلاص) لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا **الذي هو لنا كمرساة** (المسيح كهِلْب المركب الذي لا يُلقى في البحر إلاَّ عند الميناء) للنفس، مؤتمنة وثابتة (مركب الخلاص) تدخل إلى داخل الحجاب (كما تلقى المرساة في أعماق البحر ولا نراها، ولكن لأن المركب ممسوكة بها تظل المركب ثابتة جداً دون أن نرى الهِلْب) حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا (إلى أعماق السماء ونحن ماسكون به بالإيمان، لا نراه ولكن ثابتين وأحياء به ننتظر بفارغ الصبر أن يجذبنا إليه)...» (عب٦: ١٨—٢٠)

هنا يصوِّر القديس بولس الرسول أن مركب الخلاص أقلعت من أور الكلدانيين حاملةً إبراهيم رجل الإيمان الذي رحل في مجاهل بحر الإيمان العاصف المضطرب، وهو لا يعلم إلى أين يذهب، وسلَّم إبراهيم قيادة المركب، بيدِ كلٍّ من جاء بعده واحداً إثر واحد: إسحق و يعقوب وموسى وهكذا، إلى أن قادها الرب يسوع وأدخلها ميناء الخلاص، مشبِّهاً أعماق البحار بأعماق السموات، والمسيح كمرساة مربوطة بالنفس أو أن النفس مربوطة بالمرساة. ثم بالقيامة والصعود دخل يسوع إلى أعماق السماء مخترقاً

الحجاب (الحجاب الفاصل بين الله والإنسان و بين السمائيين والأرضيين)، ولكنه دخل كسابقٍ لأجلنا، فوجد لنا فداءً أبدياً، أي خلاصاً بلا عودة أو ندامة. وما بقي إلا أن نتبعه.

ولكن على قدر جمال هذا المشهد البديع، على قدر ما في فصوله من الأهوال والعواصف والإضطرابات التي عاناها الآباء والأنبياء والقديسون من زعازع هذا السفر الطويل الرهيب المرعب وسط المجهول الممتد أمامهم ومن خلف، إلى أن بلغنا الميناء في شخص الرب يسوع المسيح الذي أدخلَنا مركب الخلاص هذا، فصرنا معه في أمان الوصول **وورثنا معه وفيه كل أحزان وأهوال الإيمان السالف** وكل أفراح وبهجة إيمان الخلاص الحاضر والمعد الممسوك به بثقة و يقين وقوة كالمركب الممسوكة بالهلب داخل الميناء.

نعم! كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟

ثانياً: الخلاص في الحاضر: رؤية الخلاص في الحاضر:

الخلاص بمفهومه الحاضر هو كل ما أكمله الرب يسوع بالآلام لنخلص به.

هذا الخلاص، بكل مضامينه، هو الآن حاضرنا الذي نعيشه. فالخلاص عمل قائم أمامنا وفينا، لا يمتُّ إلى التاريخ، أي ليس فيه شيء مضى بمفهوم الزمان الذي يعتبر كل ما مضى قد انتهى، بل الخلاص فعلٌ حيٌّ قائم في المسيح و بالمسيح، نقبله بالإيمان فنحيا به. قوامه صبغة الدم والكلمة وختم الروح القدس، وهي أمور لا تفنى ولا تتزعزع ولا تتغير ولا يوجد فيها شبه دوران، كالأرض والشمس والزمان. بل إن الأرض والسماء تزولان؛ وأما ما قاله وما أكمله الرب يسوع بآلامه فلن يزول إلى الأبد، بل كلُّ من يقبلها يحيا بها.

لذلك يؤكد القديس بولس الرسول أيضاً: «وأما هذا (الرب يسوع) فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد، له كهنوت لا يزول، فمن ثَمَّ يقدر أن يخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدَّمون

به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم.» (عب٧: ٢٤—٢٦)

وهكذا، فإن الخلاص الذي أكمله الرب يسوع بآلامه وصليبه، لو نظرناه في الحاضر الحي، نجده لا حدود له، فهو في اقتداره يشمل لا كل الناس في كل العالم فقط، بل وفي كل الدهور، فهو خلاص مرسوم منذ الأزل (قبل إنشاء العالم) وهو قائم إلى الأبد، فالأزلية لا تحتوي الخلاص ولا الأبدية تبلغ مداه.

وعلى قدر هذه الرؤية الإلهية للخلاص القائم بالله في ابن الله، هكذا تكون الرؤية للخلاص على مستوى البشر. فليس إنسان ما في الوجود يعسر عليه الخلاص أو يضيق به، فمركب الخلاص يتسع فعلاً للبشرية كلها، فإذا أخذنا أردأ العينات البشرية كنموذج لاتساع رحمة الخلاص التي تفوق العقل والتي هي لامحدودة، نجد مركب الخلاص هذا يحمل الآن وأمام أعيننا **زكا** العشار المرابي: «اليوم حصل خلاص لهذا البيت» (لو١٩: ٩)، **ومريم المجدلية:** «التي خرج منها سبعة شياطين» (لو٨: ٢) وإن كنا لا نعلم بالضبط أصنافهم ولكنهم كانوا بكل تأكيد متعددي المسئوليات المتخصصة في هلاك النفس البشرية، هذه (أي مريم المجدلية) صارت تخدم يسوع حتى الصليب والقبر، وكانت أول من عاين القيامة في شخص المسيح القائم وبشّرها بتكليف رسمي: «اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.» (يو٢٠: ١٧)

كما نرى في مقدمة المركب لصاً سارقاً وقاتلاً، مستحق العقاب بالإعدام بحسب اعترافه ومن فمه: «أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا» (لو٢٣: ٤١). هذا أخذ وعداً بالخلاص في أقل فترة زمنية يمكن أن يتصورها إنسان، فقد نطق باعترافه بالإيمان بالمسيح في دقائق، فنال الخلاص الأبدي وعاينه في نفس اليوم: «اليوم تكون معي في الفردوس.» (لو٢٣: ٤٣)

كما نجد أيضاً في صدر المركب وبصورة بارزة امرأة شعرها يضيء كالشمس، تُعرف لدى كل العالم الآن بأنها **«المرأة الخاطئة»**. هذه اعترفت لا بالكلام الكثير ولا

بالكلام القليل، ولكن بدموعها، وفي صمت قدّمت توبتها. وإذ أرادت أن تحتفظ بدموعها على جسد الرب إلى الأبد مسحت بها رجليه، ثم استردتها لنفسها لتكون حِرْزاً واقياً لجسدها ولنفسها ولروحها إلى الأبد، بأن مسحت رجليه بشعرها مرة أخرى (لو٧: ٣٦—٥٠)!! أيَّةُ حكمة هذه لهذه المرأة التائبة؟

هذه نالت وعداً إلهياً مسبَّباً: «**قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً.**» (لو٧: ٤٦)

كما نجد على المركب وفي موضع القيادة رجلاً ماسكاً بقلوع المركب، مكتوبٌ على جبهته باعترافه وبتسجيل الإنجيل: **«أول الخطاة»** (١تي١: ١٥)، و**«مضطهدُ الكنيسة بإفراط»** (غل١: ١٣)، ووراءه لصوص وقتلة وزناة من كل لسان وأمة وشعب بأعداد لا تُعدُّ ولا تُحصى، جالسين هادئين لابسين ثياباً بيضاً بيَّضوها في دم الخروف؛ وعليهم جميعاً هالات من المجد ووجوههم تطفح ببشرى الخلاص وبهجته التي أنقذتهم من ظلمة العالم الحاضر؛ وصاروا شهوداً وشهداء للخلاص الذي أكمله يسوع.

وهكذا نجد الخلاص الحاضر أمامنا الآن مشهوداً له من الله والناس: «خلاصاً هذا مقداره **قد ابتدأ الرب بالتكلم به،** ثم تثبّت لنا من الذين سمعوا، **شاهداً الله معهم بآيات** وعجائب وقوات متنوعة **ومواهب الروح القدس** حسب إرادته.» (عب٢: ٣و٤)

— «فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟»

ثالثاً: رؤية الخلاص في المستقبل (الإرتفاع):

«هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدِّم لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه.» (عب٩: ٢٨)

سبق وأن شرحنا أن الإيمان بأننا نحيا الآن في المسيح هو سعادة الحاضر، ونصرة

الروح على الجسد، وتكميل المحبة التي هي كمال الناموس الجديد، وغلبة العالم بكل الأشياء التي فيه، ورؤية مكشوفة لوجه المسيح ولكن كما في مرآة، لأننا ننتظر الرؤيا وجهاً لوجه.

إذن، أن **نحيا الآن في المسيح** فهو إيمان الروح الذي ينتظر تكميل الرجاء لحياة مع المسيح في ملكوته عياناً مع جميع قديسيه وملائكته القديسين.

فإن كان إيمان الحاضر هو الحياة في المسيح، وفي هذا سعادتنا، فإيماننا بالمستقبل هو الإيمان **مع المسيح لتكميل سعادة أبدية.**

ونحن ندرك بإيمان اليقين أننا خلصنا بدم المسيح في الحاضر لأنكم «اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم المسيح و بروح إلهنا» (١كو٦: ١١). هذا هو مضمون الخلاص في الحاضر، خلاص من الخطيئة.

ولكن نحن نعيش على رجاء تكميل هذا الخلاص مع المسيح نفسه في مجد الخلاص الذي ننتظره، الذي هو إكليل حياتنا وتاج جهادنا وسعينا الحاضر: «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغيِّر شكل **جسد تواضعنا** (جسد الخطيئة) **ليكون على صورة جسد مجده** بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في٣: ٢٠و٢١)؛ «إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو.» (١يو٣: ٢)

فانظروا يا إخوة، إن إيماننا بالمسيح طموح للغاية، فإنه يشمل الخلاص في الحاضر والمستقبل أيضاً، وإنَّ سعْينا الآن لن يكتفي بالخلاص من شهوات الجسد وخطايا وأخطاء السلوك بعمل دم المسيح، بل يمتد بالرجاء الحي ينتظر و يطلب، في شجاعة، تغيير هذا الجسد جملة وتفصيلاً ليكون على أشهى ما نتمناه من القداسة والنورانية بحسب عمل استطاعة المسيح، الذي نعرف جيداً مدى سلطانه الإلهي في تغيير وإخضاع كل شيء

لنفسه: «فإن كنا الآن نتألم معه فلكي نتمجد أيضاً معه» (راجع رو٨: ١٧). هكذا نؤمن مع القديس بولس الرسول، وهكذا نرجو.

علماً بأن مختاري الله طالما هم على الأرض فهم يظلون «ينتظرون ابنه من السماء الذي أقامه من الأموات يسوع الذي ينقذنا من الغضب الآتي» (١تس١: ١٠)، لأن العالم حتماً سيجوز تجارب خطيرة قبل أن نبلغ النهاية السعيدة، كما يؤكد ذلك القديس يوحنا الرسول في سفر الرؤيا: «لأنك حفظت كلمة صبري («هنا صبر القديسين» رؤ١٣: ١٠) أنا أيضاً **سأحفظك** من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كلِّه لتجرِّب الساكنين على الأرض.» (رؤ٣: ١٠)

هنا خلاص أيضاً من ساعة التجربة هذه. وهكذا يظل المسيح يرعى خلاصنا في كل مراحله حتى النهاية.

لذلك فأيُّ عزاء ذلك وأية راحة لنفوسنا المتعبة، حينما ندرك أننا موضوع عناية المخلِّص وهو قائم الآن عن يمين الآب وهو على استعداد أكيد للظهور في الساعة العصيبة لينقذنا من الضيق ومن مضايقينا «إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً، وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته... متى جاء ليتمجد في قديسيه و يُتعجب منه في جميع المؤمنين» (٢تس١: ٦و٧و١٠). هذا هو رجاؤنا في خلاصنا الذي نعيشه والذي نترجاه حتى النهاية: «وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح **الذي سيثبتكم أيضاً إلى النهاية بلا لوم في يوم ربنا يسوع المسيح.**» (١كو١: ٧و٨)

علماً بأن ظهور المسيح بالنسبة لنا نحن الذين آمنّا بخلاصنا بالفداء بدم المسيح هو نهاية معاناتنا وإكليل صبرنا و بشارة سعادتنا الأبدية معه «متى أُظهر المسيح حياتنا **فحينئذ تُظهرون** أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو٣: ٤)

هذا يؤكده القديس يوحنا الرسول في رسالته الأولى: «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو.» (١يو٣:٢)

ولكن هذا الإيمان وهذه الثقة البالغة اليقين عند القديس يوحنا يفسرها القديس بطرس الرسول بأنها تقوم على أساس الحب الشديد الذي يربطنا به في الحاضر. فمحبة المسيح غير المنظور لنا الآن هي الأساس الهام جداً الذي تنبني عليه علاقتنا به هناك: «لكي تكون **تزكية إيمانكم**... توجد للمدح والكرامة **والمجد** عند استعلان يسوع المسيح الذي وإن لم تروه (الآن) تحبونه...» (١بط١:٧و٨)

مجد الخلاص الآتي:

مركز الذين نالوا الخلاص:

من بعيد ومن بعيد جداً، أُعطي لدانيال النبي المحبوب أن يرى هذه النهاية السعيدة، حينما قرَّبوا ابن الإنسان إلى قديم الأيام (الآب)، فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب: «**أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين.**» (دا٧:١٨)

ومن وراء الحجاب كشف القديس بولس الرسول هذه الحقيقة كما هي: «إن كان بخطية واحد (آدم) قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة (الأبدية) بالواحد يسوع المسيح.» (رو٥:١٧)

وقد سُمح للقديس بولس الرسول وهو تحت رجم الحجارة، وقد بلغ قمة الآلام في جسده وكادت لحظة الموت أن تُنهي حياته على الأرض، أن يُؤخذ بالروح إلى السماء ليعاين الراحة العليا بنفسه وبعينيه وأذنيه ويتعجب ويندهش من المجد المعدّ لقديسيه، وهذا كان عزاءً لما عاناه وسيعانيه من أجل الإسم المبارك؛ وهكذا أعطانا صورة مبهمة للغاية لهذا المجد وهو يتكلم عن نفسه بصيغة الغائب تمادياً في إنكار الذات: «أنه

اختُطف إلى الفردوس وسمع كلمات لا يُنطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها.» (٢كو١٢:٤)

أما القديس يوحنا الرسول فسمعها بأذنيه ورآها بعينيه وهو قائم بالروح: «مَنْ يغلب **فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي** كما غلبتُ أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه» (رؤ٣:٢١)؛ «من يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية **فسأعطيه سلطاناً على الأمم (المفديين)**» (رؤ٢:٢٦). «وبعد هذا نظرتُ وإذا جمعٌ كثير لم يستطع أحد أن يعدّه من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخل وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين الخلاص (أوصنا) لإلهنا الجالس على العرش وللخروف... هؤلاء الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف، من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله والجالس على العرش يحلُّ فوقهم... والخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية؛ ويمسح الله كل دمعة من عيونهم.» (رؤ٧:٩—١٧)

هذا المنظر يذكِّرنا بدخول المسيح هيكل أورشليم الأرضي الذي كان رمزاً للآتي، أما الثياب البيضاء فهي عودة إلى طهارة الأولاد الذين كانوا يصيحون أمام موكب المسيح وهو راكب على أتان اتضاعه، وسعف النخل هو هو رمز النصرة التي أكملها قديسوه على العالم، و«أوصنا» تمت بحذافيرها، فقد أُكمل الخلاص، وهذا هو عيده الأبدي والمسيح يملك فوق كرسي مجده وصراخ القديسين لا يجد أحداً من المرائين ليُسكته بل إن الملائكة تردد صداه. هذا هو عيد الخلاص الأبدي الذي سنعيِّده بعد ضيق الزمان الحاضر «هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة».

هذا هو ختام منظر **الخلاص** والمخلَّصين في مُلك المسيح الأبدي، وهذا اليوم الرهيب رآه زكريا النبي في رؤياه، وتكلم بالنبوة عنه، ولكن كأنه من وراء حجاب، وهو يحكي عن عيد المظال الأبدي وأغصان الأشجار في أيدي قديسيه لا من زرع وخشب

وورق بل من شجرة الحياة التي ورقها لشفاء الأمم (رؤ٢٢: ٢):
— «و يكون أن كل الباقي من جميع الأمم الذين جاءوا على أورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا **للملك** رب الجنود وليعيِّدوا عيد المظال.» (زك ١٤: ١٦)

و يكمل هذه الصورة القديس يوحنا الرسول في رؤ ياه أيضاً:
— «و بعد هذا **سمعت صوتاً عظيماً من جمع كثير** في السماء قائلاً: هللو يا الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا لأن أحكامه حق وعادلة... وقالوا ثانية هللو يا... وخرج صوت من العرش قائلاً **سبحوا لإلهنا يا جميع عبيده الخائفيه الصغار والكبار...** هللو يا فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء. لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عُرس الخروف قد جاء وآمرأته هيَّأت نفسها (الكنيسة هنا عذراء عفيفة ولكن متى أكملت جهادها فإنها تُزفُّ للمسيح لإتحاد أبدي) وأُعطيت أن تلبس بَزًّا نقياً بهياً (البزُّ هو «البوص» وهي كلمة تفيد الكتان الأبيض الذي تتكون منه حلل الكهنة) لأن البَزَّ هو تبرُّرات القديسين.» (رؤ١٩: ١—٨)

نعم! كيف ننجو إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟

□

إهمال الخلاص

الخطوة الأولى:

كيف يبدأ الإنحراف؟

— «الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد آبن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي و يشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير.» (يو٦: ٥٣و٥٤)

— «فقال كثيرون من **تلاميذه** (الذين غرضهم لم يكن مستقيماً)، **إذ سمعوا: إن**

هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه (آذانهم عالمية)... (فقال يسوع): **منكم قوم لا يؤمنون،** لهذا قلت لكم إنه لا يقدر أحد أن يأتي إليَّ إن لم يُعطَ من أبي».
— «من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه!!» (راجع يو٦: ٦٠—٦٦)

هنا نرى أن بدء الإنحراف عن الإيمان بالمسيح والتخلي عن مجد الخلاص **هو عدم تصديق أقوال الله الحية** والشك فيها. في الحال يُرفع عن الإنسان انفتاح البصيرة والأذن الروحية لفهم الكلام: «هذا الكلام صعب» + «من يقدر أن يسمعه».

لهذا ينبغي التنبيه على أن كلام الحياة الأبدية هو فوق مستوى إدراك العقل المادي الذي يعيش بالقياس، أي يقيس شيئاً على شيء ليدرك صحته، وكذلك هو فوق مستوى السمع والفهم العاديين، لأنه كلام الروح؛ لذلك فهو يستلزم أذناً روحية وفكراً روحياً ليسمع و يفرح و يفهم و يصدق.

ولكي ينتقل العقل المادي والأذن المادية والفهم المادي إلى مستوى إدراك وفهم الروح، يحتاج الأمر أولاً وقبل كل شيء إلى تسليم القلب والمشيئة لله بعزم، باستعداد طاعة الروح القدس بدون نقاش. والروح نفسه هو الذي يجدد الذهن و يفتح البصيرة و يلهم الأذن الروحية، على قدر تصديق الإنسان وطاعته!!

أما بقية التلاميذ الأمناء فلم يستصعبوا قول المسيح عن أكل الجسد وشرب الدم ليس لأنهم أدركوا صحة ذلك ولكن لأنهم سلَّموا أنفسهم للمسيح وصمموا على اتِّباعه: «يا رب إلى مَنْ نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك» (يو٦: ٦٨). وعندما يخضع العقل وتخضع الإرادة لكلمة الحياة الأبدية، ينفتح الذهن، فيدرك أعماقها بتفوق مذهل، فيظهر الإنسان وكأنه على أعلى مستوى من الذكاء والفهم، ولكن الحقيقة هي أن الروح هو الذي يعطي هذا الفهم وهذا الذكاء للإرتفاع إلى مستوى أعماق الله ونوال الخلاص المعدّ.

الخطوة الثانية:
التهوين من شأن الخطية:

بعد أن نستصعب أقوال المسيح ونتشكك في صدقها، نبدأ في الإستصغار والتهوين من شأن الخطية، فتبدو الخطية معقولة لملاءمتها للطبيعة ولما جُبلت عليه فطرة الإنسان من العطش الجنسي، والميل إلى القوة والعظمة، وعدم الظهور بمظهر الضعف أو المذلة. وكلٌّ من هذه النزعات الغريزية يجرُّ وراءه خطايا بلا عدد.

و يقترن بالتهوين من شأن الخطية تجاهلٌ ثم تنكُّرٌ لأحكام الله وإدانته لهذه الخطايا، فيسقط عن ضمير الإنسان هيبة أحكام الله وقضائه.

أما الذين استحسنوا أن لا يُبقوا الله في ذهنهم وتنكَّروا لأقواله وأحكامه وصمموا على السير حسب مشيئتهم وغرائزهم، فهؤلاء يقول عنهم الكتاب إن «الله أسلمهم إلى ذهنٍ مرفوض لكي يفعلوا ما لا يليق.» (رو١: ٢٨)

وجنباً إلى جنب مع الذين بلغوا الإستهتار بأحكام الله ضد الخطيئة بسبب عدم تصديق كلمة الله والتصغير من أحكامه بسبب التنكُّر لها، يقف نوع آخر من الناس هم مؤمنون، بل و يكرمون كل أحكام الله و يصدِّقون كل أقواله، ولكن بسبب خداع الخطية وغواية الشيطان يتعللون بلطف الله ومحبته وطول أناته فينغمسون في الخطيئة مستندين استناداً باطلاً وخائباً على محبتهم الكاذبة لله واحترامهم الكاذب ومعرفتهم لأحكامه وطاعتهم الصورية لعبادته!! ولكن الله صريح بالنسبة لهؤلاء: «أفتظن هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه (الخطايا) وأنت تفعلها أنك تنجو من دينونة الله؟ أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أنَّ لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب وآستعلان دينونة الله العادلة.» (رو٢: ٣-٥)

وهكذا يقع كثير من شبه المؤمنين في خداع نظر رهيب من جهة لطف المسيح

ووداعته وغفرانه لجميع الخطايا مجاناً؛ فيستمرئوا الإنغماس في الخطايا، واحدة تجرُّ الأخرى، تحت هذا الستار الوهمي من رحمة المسيح. ولكن يخطيء هؤلاء خطيئة مميتة إذ يجعلون أحكام الخطيئة في العهد الجديد أقل شأناً من أحكام الخطيئة في العهد القديم إذا عُملت عن عمد وإصرار واستمرار واستهتار بالثمن الذي دُفع لرفع سلطانها. في هذا يحذر أيضاً القديس بولس الرسول من هذه السقطة المميتة بالنسبة لكرامة دم المسيح:

— «فإن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا (أي يبطل عمل دم المسيح إزاء هذا الإنسان)، بل قبولُ دينونةٍ مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين. من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة، فكم عقاباً أشرَّ تظنون أنه يُحسب مستحقاً مَنْ داس آبن الله (إنكار المسيح بالفم أو بالنية أو بالعمل) وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً (أي نجّس ليس جسده فقط بل استمرأ أن يشرب من كأس الرب وكأس الشيطان بلا ندم أو توبة) وازدرى بروح النعمة (أي سدَّ أذنيه عن نداء الروح وتحذيره وصراخه داخل الضمير).» (عب١٠: ٢٦-٢٩)

إن هذا السلوك بكل أنواعه يشكل الإرتداد عن الخلاص الذي دُفع ثمنه غالياً جداً، لذلك يحذر ويحذر ويحذر القديس بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين: «فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟»

أي ما أصعب النجاة لمثل هذا السلوك المستهتر بثمن الخلاص الذي يمثله دم المسيح بل شخصه، بل الله نفسه، فيقول: «فإننا نعرف الذي قال: لي الإنتقام أنا أجازي، يقول الرب؛ وأيضاً: الرب يَدينُ شعبه. مخيفٌ هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب١٠: ٣٠و٣١)، «أنظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في الإرتداد عن الله الحي، بل عظوا أنفسكم.» (عب٣: ١٢و١٣)

و يعود القديس بولس الرسول محذِّراً تحذيراً إيجابياً، أي لتوعية المبتدئين في طلب

الخلاص والسعي خلفه بمقتضى وصايا المسيح قائلاً: «لذلك يجب أن **نتنبّه أكثر** إلى ما سمعنا لئلا نفوته (ننزلق بعيداً عنه).» (عب ٢: ١)

وما الذي يقودنا إلى هذا الإنزلاق إلاّ ثقتنا الكثيرة بأنفسنا وعدم دقة التزامنا بالوصية مهما كانت ضد راحتنا وكرامتنا ومهما أدّت إلى خسارة أو تعب أو تضحية. ولكن الإنزلاق وراء عاداتنا القديمة وأمزجتنا وطبيعتنا العتيقة وميراثنا من البيئات التي انغمسنا فيها وقتاً ما بعيداً عن التقوى ومخافة الله، هذه تمثل أخطر عامل جذب للإنسان بعيداً عن خط الخلاص الذي قبلنا دعوته، فتصغر قيمة الكلمة في أعيننا شيئاً فشيئاً حتى يذوب الخط الفاصل بين الخلاص والهلاك...
وما أسهل الإنزلاق والسقوط بعيداً عن الله.

— والآن ما هي قيمة الخلاص عندك؟
— هل أنت منزلق إلى أسفل دون أن تدري؟
— هل تسعى جاهداً لتقوم ولا تقوى على قوة الجذب والإنزلاق؟

إن مجرد النظر المثبت في المسيح المصلوب كفيل بأن يوقف هذا الجذب المجنون:
— «اِلتفتوا إليّ وآخلُصوا» !! (إش ٤٥: ٢٢)
بل إن من يتمسك بقوة وعناد لا يلين بإسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح يخلص.

ولكن كيف ننجو إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟

+++

— ٩ —
صلاة المسيح

أولاً: جهاد الصلاة

+++

١ — «ولما صار إلى المكان قال لهم صلُّوا لكي لا تدخلوا في تجربة، **وانفصل عنهم** نحو رمية حجر **وجثا على ركبتيه وصلى** قائلاً يا أبتاه إن شئت أن تجيزعني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك».
+ «وإذ كان **في جهاد** كان **يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم** نازلة على الأرض».
+ «فقال لهم لماذا أنتم نيام، **قوموا وصلّوا، لئلا تدخلوا في تجربة.**» (لو٢٢: ٤٠ — ٤٢ و٤٤ و٤٦)

٢ — « + آجلسوا هنا حتى أصلي...
+ وابتدأ **يدهش و يكتئب.**
+ وقال: **نفسي حزينة جداً حتى الموت.**
+ امكثوا هنا **واسهروا...**
+ ثم تقدم قليلاً **وخرَّ على الأرض وكان يصلي...**
+ ثم جاء ووجدهم نياماً فقال لبطرس يا سمعان **أنت نائم؟** أما قدرت أن تسهر **معي ساعة واحدة؟**
+ اسهروا **وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط** وأما الجسد فضعيف.

+ ومضى أيضاً وصلّى قائلاً الكلام بعينه،
+ ثم رجع ووجدهم أيضاً نياماً إذ كانت **أعينهم ثقيلة** فلم يعلموا بماذا يجيبونه!!»
(مرقس ١٤: ٣٢—٤٠)

هذه صورة حية لصلاة المسيح، قدّمها لنا كآخر مشهد استطاع أن يطبعه على قلوبنا وضمائرنا، للعلاقة التي يتحتم أن تربطنا بالله لكي نستطيع أن نكمل مشيئة الله لا مشيئتنا.

فلو كان هناك أحد في العالم لا يحتاج أن يصلي، فهو شخص المسيح. إذن، فالصلاة التي قدّمها، قدّمها ليؤمّن بها عمل الصليب ليكون حسب مشيئة الله وليرفع عن عملية الآلام والموت أي شُبهة لتدخُّل العدو أو أي صورة من صور التجارب. فبصلاة المسيح القوية هذه، انحصر الصليب وعملية الخلاص كلها في دائرة مشيئة الله بالكامل، وظهر الصليب وظهرت الآلام وظهر الموت خالياً من أية عثرة أو أي تدخل من العدو، واستُعلن ذلك جهاراً بالقيامة من الأموات.

هنا ينبهنا المسيح أن الصلاة تحوّل التجربة إلى نُصرة، وتحوّل الآلام إلى مجد، وتحوّل الموت إلى قيامة، وذلك بتدخل الله المباشر. وهنا تظهر الصلاة أنها أعظم **تأمين** لحياتنا اليومية المملوءة تجاربَ وضيقات وأتعاباً، إذ تُدخلها جميعاً في دائرة مشيئة الآب السماوي، لأننا في جهاد الصلاة نسلّم أنفسنا بالكامل لمشيئة الله وتدبيره.

كذلك فالصلاة بهذه الصورة تقف كأعظم سلاح ضد تدخل العدو أثناء عبورنا الضيقات والآلام، حتى لا يستغلها العدو ويشككنا في عمل الله وفي مؤازرته وتدخُّله، فيوقعنا تحت سلطانه، سواء بعدم الإحتمال أو التذمر أو الإحتداد أو لجوئنا إلى الإنتقام أو البغضة، وبذلك يجعل الضيقات فخّاً لنا ليُخرجنا من حصننا فيحوّلها إلى تجربة مخسِّرة لنا مُضعفة لإيماننا ويبعدنا عن الصلاة والله.

لذلك، وفي نفس الوقت الذي يتقدم فيه المسيح للصلب والموت ليتحمل أقسى أنواع

الظلم والآلام، في هذا الوقت بالذات يقول لتلاميذه: «صلُّوا لكي لا تدخلوا في تجربة»، ثم يصلي أمامهم لا كمجرد واجب يؤديه بل يصلي صلاة بجهاد وأشد لجاجة، ويكرر الصلاة عينها بنفس الكلمات وجَثْو الركب حتى إلى الأرض في انسحاق الصلاة بخشوع عظيم، لكي يسلّمنا طبيعة الصلاة اللائقة بالآب السماوي في زمن الضيقة والمحنة والألم.

لاحظ أن صلاة المسيح هذه بهذا الجهاد وهذه اللجاجة الشديدة وإلى ثلاث مرات لم تُجِزْ الكأس، كأس الآلام، عن المسيح ولا ردّت مشيئة الآب عن أن يسحقه بالحزن، ولكن جعلت مشيئة المسيح على مستوى مشيئة الآب تماماً فتقبّل الصليب من يد الآب عن سرور.

هكذا، فالصلاة التي يطالبنا بها المسيح على مستوى صلاته للآب، أي بجهاد وعرق يتصبب وبلجاجة شديدة وسجود متواتر، لن ترفع عنا الآلام أو تجيزعنا الموت ولكن تحوّله إلى ربح!!

هكذا، وعلى هذا المستوى صلى القديس بولس بلجاجة ثلاث مرات من أجل شوكة جسده، فقال له الرب: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (٢كو١٢: ٩). أي تعمل وتكمّل خلاصك. هكذا عبر القديس بولس الآلام العديدة بافتخار:

— «على سبيل **الهوان** أقول كيف أننا **ضعفاء**...
— «في **الأتعاب** أكثر، **في الضربات** أوفر، **في السجون** أكثر، **في الميتات** مرات كثيرة،
— «**في تعب وكدٍّ، في أسهار** مراراً كثيرة...
— «**في جوع وعطش، في أصوام** مراراً كثيرة...
— «**في برد وعُري**...
— «إن كان يجب الإفتخار **فسأفتخر بأمور ضعفي**...

— «من جهة نفسي لا أفتخر إلا بأمور ضعفاتي.

— «فبكل سرور **أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحلّ عليّ قوة المسيح.**

— «لذلك **أُسَرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح**، لأني حينما أنا ضعيف **فحينئذٍ أنا قوي.**» (٢كو١١: ٢١ — ٣٠)

لقد علم القديس بولس الرسول ذلك («فحينئذٍ أنا قوي») أثناء صلوات اللجاجة الكثيرة، فبالصلاة علم القديس بولس حكمة الآلام:

— «لأن لي الحياة هي المسيح **والموت هو ربح!!**» (فيلبي ١: ٢١)

كذلك بقية الرسل، فإن كل واحد أصبح يقيس نفسه على آلام المسيح. **فالقديس بطرس الرسول** يقول:

— «أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم **والشاهد لآلام المسيح** وشريك المجد العتيد أن يُعلَن» (١بط ٥: ١١)؛

— «فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد، **تسلحوا أنتم أيضاً بهذه النية، فإن من تألم بالجسد كُفّ عن الخطية.**» (١بط ٤: ١)

هنا يوضح القديس بطرس الرسول كيف تتحول تجربة الألم (سواء بالمرض أو بغيره) إلى انتباه للتو؛ وهذا لا يمكن أن يتم إلاّ من خلال الصلاة، لكي تظهر مشيئة الله وتعمل لحساب الخلاص. فالمسيح تألم لكي يرفع الخطية، ونحن نتألم معه لتُرفع عنا.

و يضيف القديس بطرس الرسول أيضاً في موضع آخر، معتبراً أن الآلام والمحن إذا قُبلت بشكر دون استغراب أو استعفاء **فإنها تصير شركة في آلام المسيح:**

— «لا تستغربوا البلوى المحرقة التي بينكم حادثة لأجل امتحانكم **كأنه أصابكم أمر غريب، بل كما اشتركتم في آلام المسيح، افرحوا** لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين.» (١بط ٤: ١٢و١٣)

هنا رؤية الآلام والضيقات بهذا المنظار **الإلهي** هي ثمرة الصلاة الحارة المخلصة، الشاكرة المذعنة وقت الضيق. هذا هو سر صلاة المسيح في جثسيماني الذي استقر في وجدان الرسل وصار ميراث إيمانٍ للذين يحبون صليب ربنا يسوع المسيح.

أما **القديس يعقوب الرسول** فيوضح ارتباط الضيقات بالصلاة بصورة عقائدية، بحيث صارت الصلاة في الضيق جزءاً من الإيمان:

— «أعلى أحدٍ بينكم مشقّات فليُصَلِّ.» (يع ٥: ١٣)

— «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات، وصلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفَوا. طِلْبَةُ البار تُقتدر كثيراً في فعلها.» (يع ٥: ١٦)

— «طوبى للرجل الذي **يحتمل التجربة** (بالصلاة)، فإنه إذا **تزكّى ينال إكليل الحياة** الذي وعد به الرب للذين يحبونه.» (يع ١: ١٢)

كل هذا هو ثمرة جثسيماني التي رفعت مستوى إدراك قيمة الآلام بالصلاة لتبلغ درجة إكليل الحياة الأبدية. وهكذا يمكن بدون عناء أن نستقبل الآلام بفرح كمفهوم تكريم، إذ يكون المسيح قد حسبنا أهلاً أن نشترك في آلامه:

— «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة.» (يع ١: ٢٠)

ولماذا نفرح في التجارب بهذا القدر؟

لأنها تكون مشيئة الله الذي يدبر لنا الخير، هكذا يقول القديس بطرس الرسول:

— «فإذن، الذين يتألمون بحسب مشيئة الله (وهذا لا يتأتى إلا إذا كنا غير مخطئين وقبلنا الألم بالشكر) فليستودعوا أنفسهم (بالصلاة) كما لخالق أمين في عمل الخير.» (١بط ٤: ١٩)

□

ثانياً : سعادة الصلاة

+++

— «وبعد ما صرف الجموع **صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي**، ولما صار المساء كان هناك وحده.» (متى ١٤: ٢٣)

— «وفي الصبح باكراً جداً (السَحَر) **قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء** وكان يصلي هناك.» (مر١: ٣٥)

— «ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً، **وإذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس** بهيئة جسمية مثل حمامة **وكان صوت من السماء قائلاً أنت آبني الحبيب بك سُررتُ.**» (لو٣: ٢١)

— «وخرج إلى الجبل ليصلي، وقضى الليل كله في الصلاة.» (لو٦: ١٢)

كانت سعادة المسيح، كابن الإنسان، أن يخلو إلى الله يناجيه و يتحدث إليه في صلاة سرية طويلة جداً كانت تستغرق أحياناً طوال الليل ولا أحد يعرف مضمونها إلاَّ الله. لقد انعكست على يسوع المسيح آبن الله المتجسد علائق الحب الأزلي التي تربط الآب بالإبن، فكان لابد أن يردَّها آبن الإنسان حباً بحب في سعادة غامرة، عبَّر عنها الآب من السماء علانية: «هذا هو آبني الحبيب الذي به سُررت». ونقول «علانية» إذ قد شاهد التلاميذ وسمعوا هذا الصوت قادماً من المجد الأسنى بتعبير القديس بطرس الرسول: «لأننا لم نتبع خرافات مصنَّعة، إذ عرَّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل **كنا معاينين عظمته**، لأنه **أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو آبني الحبيب الذي أنا سُررت به**، ونحن سمعنا هذا الصوت مُقبلاً من السماء إذ كنا معه في الجبل المقدس.» (١بط ٢: ١٦ـــ١٨)

صحيح إن الصليب كان مركز اهتمام المسيح منذ أول لحظة ابتدأ يكرز فيها:

«**توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات**» (متى ٤: ١٧). وإلى آخر لحظة كرز بها المسيح كان الصليب يملأ أفق حياته: «لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة.» (يو١٢: ٢٧)

ولكن كانت له أمسيات لأيام كثيرة اختلى فيها مع الآب وأفرغ فيها أعزَّ وأرق وأسمى مشاعر حب البشرية التي لبسها. أليس هو آبن الإنسان؟ آبن داود، آبن المزامير والأناشيد؟

وكم من أوقات السَحَر قبل الفجر رأته سفوح الجبال وحيداً منفرداً في قرى الجليل والناصرة وحول بحيرة طبرية، واقفاً رافعاً يديه يشكر و يسبِّح و يناجي الآب باسم الخليقة كلها وعن كل بني آدم؟

بل كم من الليالي قضاها بأجمعها على قمم الجبال متنقلاً على كل الجهات يبارك الخليقة والمسكونة كلها من كل ناحية، ألم تكن هذه كلها صَنْعَة يديه حينما قال الله فكان، «فإنه فيه خُلق الكلُّ ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى... الكلُّ به وله قد خُلق.» (كو١: ١٦)

لقد كانت فرصة نادرة وفريدة جداً للإنسان أن يجد له على الأرض آبناً و يولد له ولد لتكون الرئاسة هكذا على كتفيه، و يكون آسمه عجيباً — آبن الله — له كل مشورة الآب، وهو هو الإله القدير أبو آدم وكل بنيه إلى الأبد، أتانا من السماء ومعه السلام على الأرض والسرور لبني الإنسان. لقد أدرك المسيح هذا كل الإدراك، أليس هو الذي وضع في فم إشعياء كل هذه الأناشيد؟

فكانت فرصة نادرة للمسيح أن يعبِّر بأعظم ما عنده من مشاعر الحب والوفاء نيابة عن كل بني آدم لله أبيه، ليجبُر عجز الإنسان. أليس الإنسان وهو صَنْعَة يديه يغار المسيح عليه لعجزه؟ فها هي فرصته ليقدم عنه كل آيات الشكر والحمد وكل ألوان الصلاة التي لم يبلغها بشر.

فيا لسعادة المسيح بصلواته السرية للآب! و يا لسعادة الإنسان بصلوات المسيح عن كل إنسان.

كانت صلاة جثسيماني يملأها الحزن القاتل: «نفسي حزينة جداً حتى الموت»، أليس هو قادماً على حَمْل قذر البشرية ووسخ بنت صهيون؟ وكان الإكتئاب يلفُّ هذه الصلاة من كل جانب، أليس هو قادماً على تخلّي الآب: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟؟»

ولكن صلوات الأمسيات والليالي الطوال حتى مطلع الفجر والصلوات التي سبقت فيها عيناه وقت السحر ليقدم للآب أناشيد الحب والفرح والمسرة باسم إبراهيم وإسحق و يعقوب وكل أتقيائه وقديسيه، كل ما عجز الإنسان الطيب عن أن يعبِّر عنه بالشكر قدَّمه المسيح للآب، حتى ملأ قلب الآب فرحاً ونعيماً وسروراً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ.» (متى ٣: ١٧)

يا لنعيم قلب آدم وكل بنيه! و يا لسرور قلب الآب بصلوات المسيح التي أتقن تقديمها بأقدس مشاعر البنوية الصادقة الأمينة!

نعم! يا لعزِّ الإنسان، كل إنسان، بهذه الصلوات منذ أن قُدِّمت وحتى الآن!

ولكن المسيح لم يقدمها مرة واحدة فقط، بل هو عن يمين الآب الآن يشفع كل حين!!

ولكن إذ كان المسيح يعلم تماماً أن شفاعته السابقة واللاحقة لا يمكن أن تأتي بثمارها بدون تقدُّمنا للآب كل حين لنقبل من يديه ثمار برِّ المسيح وشفاعته، أوصانا بكل تأكيد أن نصلي: «ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُملُّ» (لو١٨: ١)، «اسهروا إذاً وتضرَّعوا في كل حين.» (لو٢١: ٣٦)

الصلاة أذَّخرها لنا المسيح كقوة روحية بفعل الروح القدس الذي سكبه علينا ليسكن في هيكلنا الضعيف، لذلك يقول القديس بولس الرسول عن خبرة و يقين أن

الروح يشفع فينا بأنَّاتٍ لا يُنطق بها، وهو يعلِّمنا ما ينبغي أن نصلي به ونصلي من أجله (رو٨: ٢٦).

فهل يمكن أن يَنْفُضَ كلُّ واحد منا إهماله وكسله وتوانيه، و يوقظ الروح الذي فيه للصلاة، لكي يؤهَّل لقبول شفاعة المسيح المستمرة لدى الآب و ينال ثمار صلواته وقوتها التي سبق أن قدَّمها عنا؟

ليس عن ضيق وتململ في أنفسنا وأحشائنا، بل عن فرح كفرح المسيح وسعادة كالسعادة التي كان يقضي المسيح فيها الليل كله متمتعاً بالصلاة للآب؟

يا للأسف! لقد خرجنا إلى الجبل، لا لنبيت ليلة حتى الصباح، بل لنقضي بقية العمر كله، فما هنأنا بسعادة ليلة واحدة قضيناها في الصلاة، أية خسارة خسرناها بسبب النوم كما يقول: «كانت أعينهم ثقيلة.» (متى ٢٦: ٤٣)

لقد اندهش المسيح وتحسَّر لما قال لهم: «امكثوا ههنا وآسهروا معي» (متى ٢٦: ٣٨). «ثم انفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى... ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن. فقال لهم: لماذا أنتم نيام؟ قوموا وصلوا...» (لو٢٢: ٤١ و٤٥ و٤٦)

و يا للحسرة حينما ذهب مرة أخرى وصلى ثم عاد فوجدهم نياماً!! فلم يَحسُن هذا في عينيه أبداً لأنها ساعة الضيقة العظمى، فلما أيقظهم و بخهم «أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة» (متى ٢٦: ٤٠). و يا لخجلهم: «فلم يعلموا بماذا يجيبونه.» (مر١٤: ٤٠)

نعم! حدث هذا بالحرف الواحد، ولكن كان لهم العذر إلى حد ما لأنه «ملأ الحزن قلوبهم» (يو١٦: ٦). ولكن أي عذر لحزن لنا الآن، ونحن نعيش في بهجة قيامته ونور كلمته وفرح خلاصه؟

ليت هذه الكلمات توقظ ضمائركم لتدركوا أن المسيح يطلبكم للصلاة: «أهكذا ما قدرتم أن تسهروا **معي** ساعة واحدة؟» لماذا تجعلون سهر المسيح يذهب عبثاً وهو يطلب نجاتكم من ساعة الضيقة القادمة على العالم؟ «**لأنك حفظت كلمة صبري، أنا أيضاً سأحفظك من ساعة التجربة** العتيدة أن تأتي على العالم كله **لتجرب** الساكنين على الأرض.» (رؤ٣: ١٠)

لاحظ أن صلاة جثسيماني مع الصليب والقيامة والصعود إلى السماء كانت ضرورية جداً، وخاصة الصعود، لمجيء الروح القدس «لكني أقول لكم الحق إنه خيرٌ لكم أن أنطلق **لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي** ولكن إن ذهبتُ أُرسله إليكم» (يو١٦: ٧). ولكن كان يتحتم أن يتهيأ التلاميذ ليلبسوا هذه القوة، أي قوة الروح القدس، من الأعالي. لذلك مكثوا في أورشليم عشرة أيام «**يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطِلْبة**» (أع ١: ١٤) حتى حضر يوم الخمسين وحلّ الروح القدس.

هكذا تقف **الصلاة**، بعد الصليب والقيامة، كباب مفتوح أمامنا في السماء تنفذ منه إلينا نعمة الله وقوة الروح القدس كل مساء وكل صباح بل وطول الليل، لتعزيتنا بكل عزاء وفرح ونعيم الروح القدس.

اللجاجة وعدم الملل في الصلاة، هما سرُّ نوال مراحم الله وعطاياه:

ولا يزال الله طالباً الساجدين له بالروح والحق، ليسكب من روحه بلا كيل على كل بشر وبلا استثناء، حتى العبيد والإماء!! ولكن ليس بدون الصلاة، صلاة من أعماق النفس وبلا ملل: «**ينبغي أن يُصلّى كل حين ولا يُملّ**». المسيح يستحسن اللجاجة جداً كوسيلة مناسبة لإغتصاب ما هو ليس من حقّنا ولا من طبيعتنا، يقصد الروح القدس وملكوت الله: «أقول لكم وإن كان لا يقوم (في مَثَل صديق نصف الليل) ويعطيه لكونه صديقه، فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدرما يحتاج.» (لو١١: ٥-٨)

لاحظ هنا أن الصداقة لم تسعف صديق نصف الليل السائل ليؤثر على المسيح (الذي يمثله هنا الصديق المعطي). وهنا يُبرز المسيح عنصراً جديداً جداً في نوال مراحمه وعطاياه، وهي اللجاجة، هذا سرٌّ عجيب لا ندرك مفعوله المدهش هذا!! الوقوف على باب الله بالصلاة المستمرة والتضرع الذي لا يهدأ، يحرك قلب الله. هذا عجيب حقاً!

من أجل هذا وبنفس المعنى، يتكلم الوحي المقدس على فم النبي **إشعياء بالروح** بوصية، هي نفس الوصية التي أدخلها المسيح في قالب قصة، **يقولها الروح على فم إشعياء كأمر**، وكأنه سر يعلنه للأخصّاء جداً ليتنفذوا منه إلى قلب الله:

— «على أسوارك، يا أورشليم، أقمتُ حرّاساً (الساهرين بالصلاة من أجل الكنيسة) لا يسكتون كل **النهار** وكل **الليل على الدوام** (يقظة الروح النشيط الذي لا يكف عن الحركة). يا ذاكري الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت.» (إش ٦٢: ٦و٧)

الروح يكشف هنا نوعاً من الصلاة القلبية الداخلية قوامها سهر الروح فوق كل انشغال واهتمام، سهر بهذيذ القلب، هي ذِكرُ الرب والنداء باسمه وبكلمة السر، حتى لا يقرب عدو ولا يعبر سارق، فيظل القلب والبيت في حراسة الروح المشددة إلى أن ينفجر نور النهار كوكب الصبح المنير (بمعنى مجيء المسيا قديماً)، أي يحل المسيح في قلوبكم بالإيمان فيصير كل شيء تحت حراسته هو وتكفُّ الذات عن الجهد والتطلّع «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ». هذه هي قمة السعادة لإنسان الصلاة، ولكن ليس قبل أن يوفّي صلاة الحراسة طول النهار وطول الليل وعلى الدوام!!

اللجاجة تكون من أجل الآخرين:

يلاحظ القارىء والسامع أن السهر الطويل هذا واللجاجة التي لا تعرف الملل في الصلاة تجيء في قصة طالب الثلاث خبزات من أجل صديق آخر جاءه في غير الميعاد، أي كانت من أجل الآخرين. كذلك أمر الروح على فم إشعياء لحراس أورشليم أن لا يكفّوا عن ذكر الرب حتى يأتي صاحب المدينة، أي أنها هنا أيضاً كانت من أجل

الآخرين.

اللجاجة من أجل السعادة الشخصية والمسرة الذاتية والمنفعة الجسدية محكوم عليها بالفشل، **فالصلاة واللجاجة من أجل الآخرين هي الوسيلة الوحيدة لملء النفس بعطايا الروح وتخليص الذات من كل معوقات نموها. وأعظم معوّق لنمو الذات هو الطلب المستمر والصلاة المركّزة في منافع الذات ونموها وحدها**، مثل هذا الإنسان تجده فاتراً في عبادته، بليداً في فهمه، يحوّل كل شيء إلى مصلحته، و يقيس كل عمل لمنفعته. وإذ لا يجد ما يسترعي اهتمامه من كل ما هو حواليه، يركن للإهمال والكسل ولا يعرف إلا أن يصلي من أجل نفسه، فترجع صلاته إلى حضنه فارغة:

— «أنا مزمع أن أتقيّأك من فمي لأنك تقول إني غني (عن الآخرين) وقد استغنيت (بمعرفتك واجتهادك عن كل إنسان) ولا حاجة لي لشيء (من كل ما هو حولي)... ولست تعلم أنك أنت الشقي (بنفسك) والبائس (باكتفائك) والفقير (باستغنائك عن الآخرين) والأعمى (عن حاجة الذين حولك من قريب ومن بعيد) والعريان (ليس عليك لباس العرس، أي لم تلبس المسيح بعد)، أُشير عليك أن تشتري مني ذهباً مصفّى بالنار (الإيمان المزكّى بالتجربة)، لكي تستغني (بالمسيح) وتلبس ثياباً بيضاً (لِبْس العذارى الأطهار الحكيمات الساهرات، أي تتطهر بالتوبة من دنس خطاياك لينفتح قلبك بنور البصيرة والحكمة)، لكي تلبس (قداسة المسيح) فلا يظهر خزي عريتك (قباحة أعمالك التي تسبق وتسير أمامك عند استعلان مجيء المسيح)، وكحّل عينيك بكُحل (معرفة الكلمة التي تضيء كالمصباح في ظلمة النفس) لكي تبصر (بالحب وتعرف إلى أين تسير). فإني كل من أحبه أوبّخه وأُؤدبه (بالتجارب والتخلية والمؤذيات الجسدية وبُعد الأصدقاء وكيد الأعداء). فكُنْ غيوراً (على عهد المسيح الذي ختمته) وتُبْ (ارجع عن جهالتك).» (رؤ٣: ١٦ — ١٩)

— «صلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفَوا.» (يع ٥: ١٦)

— **«سالموا بعضكم بعضاً... اتّبعوا الخير بعضكم لبعض وللجميع... افرحوا كل حين، صلّوا بلا انقطاع، اشكروا في كل شيء، لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم.»** (١تس٥: ١٣ — ١٨)

المسالمة واتّباع هاتف الخير للجميع تؤدي الى الفرح كل حين وهذه تؤدي إلى الصلاة بلا انقطاع، وهذه تؤدي إلى الشكر في كل شيء، وهي هي مشيئة الله من جهة الجماعة كلها.

ولكن أين مشيئة الله الآن التي لا تظهر ولا تعمل إلا بهذه الشروط؟ المسالَمة للجميع، الخير للجميع، **الفرح كل حين**، الصلاة بلا انقطاع، الشكر في كل شيء!!

——— □ ———

عقبات في طريق صلاة السعادة لتكميل مشيئة الله

+++

١ — **«ليس لي ما أعطيه»**. كان بيت هذا الإنسان فارغاً من الخبز تماماً، إنه حتى إلى ثلاث خبزات هو محتاج. ولكن هذا الشعور بالعجز لم يمنع هذا الإنسان من القيام فوراً ليقترض ليسدّ حاجة صديقه.

هذا هو نفس شعورنا في الصلاة من أجل الآخرين: كيف أُعطي الآخرين وأُصلي من أجلهم وأنا جائع وفقير وليس لديَّ ما أُعطيه؟

التغلُّب على العقبة:

+ ولكن لنا صديق غني عنده خبز الحياة بلا كيل، ولكن يحتاج إلى أن نذهب إليه حتى في هذا الميعاد غير المقبول، ولنا ثقة أنه لن يردنا فارغين، فحتماً سنأخذ ونعطي ونُشبع الآخرين، مهما كنا فقراءَ معوزين.

٢ — **«لا أقدر أن أقوم وأُعطيك»**. نعم، بحسب الأصول والواجب والحق،

فالرب ليس عنده شيء لنا وكأنه رصيد نذهب ونصرف منه ، أي بوضوح الكلام فإن عطايا المسيح سواء كانت لنا أو للآخرين ليست هي في الأصل حقاً لنا وكأنه هو ملزَمٌ بأن يعطيها بمجرد أن نطلبها ولكنها بحسب اسمها « هبات» أي إنه يعطيها لمن يشاء هو.

التغلب على العقبة:

+ ولكن ما هو في الأصل ليس حقاً لنا ، يمكن أن نأخذه كمنحة فقط .

والمنح تُعطى بالتوسل واللجاجة وإظهار الثقة في سخاء المعطي وكرمه ولطفه وغناه . لهذا وضع المسيح الطلب بصفة **قرض** وليس بصفة حق خالص ، والقرض لابد أن يسدَّد ثمنه ، ولكن لا يتحتم أن يكون من نوع القرض . فأنا أقترض ثلاث خبزات وأدفع ثمنها خدمة عند السيد ثلاثة أيام مثلاً .

أي أن التوسل واللجاجة يحتاجان إلى ثقة ويحتاجان إلى استعداد العودة بعد الأخذ لأداء ثمن القرض بالخدمة والعبادة . فالصلاة تحتاج إلى لجاجة وثقة للحصول على الطلب ، كما تحتاج إلى العودة للصلاة وإيفاء حق العاطي بالشكر والحمد والعبادة اللائقة — هذا ما نهمله كثيراً ، إذ بعد أن ننال ما نطلبه لا نعود نشكر العاطي ، وهذا يقلل من فرص الإستجابة في المستقبل .

ولكن يلاحظ أيضاً في نداء الروح لأولئك الساهرين على أسوار المسئولية وحياة الآخرين وراحة الإخوة ، كما جاء على فم إشعياء النبي ، أنه يحرِّضنا على أن لا نسكت عن اللجاجة «**ولا ندعه يسكت**» . أي أن اللجاجة لا ينبغي أن تبطل لأي سبب كان ، فلا نحن نسكت عن التوسل والدعاء بالإسم الكريم متكلين على الوعد الإلهي ، ولا نحن نرضى بسكوت الله عن الإستجابة ، حتى ننال حسب وعده هو.

وهكذا ينكشف أمامنا مقدار القصور الخطير الذي أصابنا في صلواتنا ، ومدى الطغيان الذي طغى به الشيطان على إيماننا ، لأننا إلى الآن لم نقف في الصلاة على مستوى الشروط التي وضعها الله نفسه ، حتى نحصل على كل ما نريد ، «**ينبغي أن يُصلَّى كل**

حين ولا يُمَلّ» ، «اسهروا وصلُّوا» ، «ليكن لكم إيمانٌ بالله... كل ما تطلبونه حينما تصلُّون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم .» (مر١١: ٢٢و٢٤)

ماذا نطلب لأنفسنا؟

في الحقيقة إن كل إنسان أجْهلُ من أن يعرف ماذا يطلب لنفسه ، لأنه قد يطلب ما يضرُّه فعلاً ، لذلك يلزم و يتحتم قبل أن نطلب أي شيء أن نطمئن أولاً أن الروح القدس عاملٌ فينا «لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ، ولكن الروح نفسه يشفع فينا (يصلي فينا) بأنَّات لا يُنطق بها» (رو٨: ٢٦) . هنا تُعتبر هذه الآية هادياً لنا في السير نحو الصلاة المستجابة ، أي يلزم أن نطلب أولاً أن يعمل فينا الروح القدس ، حتى بواسطته نستطيع أن نصلي كما ينبغي ونطلب ما يضعه الروح القدس في قلوبنا وأفواهنا . وحينئذ لا يلزمنا إلا أن نقف في الصلاة واثقين ملاجِجين ، لننال طلباتنا من الله .

— «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه .» (لو١١: ١٣)

— «أفلا ينصفُ الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم؟ أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً .» (لو١٨: ٧و٨)

— «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي؟ **اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً .**» (يو١٦: ٢٤)

— ١٠ —

حسب الجسد أم حسب الروح

«إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»
(رو٨: ١)

□□□

كيف أسلك حسب الروح:

١ — **تغيير الشكل بتجديد الذهن:** السلوك حسب الروح، أي أن يكون تصرُّف الإنسان وتدبيره موافقين للروح القدس، وبأكثر وضوح أن يكونا موافقين لمشيئة الله:
«من أجل ذلك نحن أيضاً منذ يوم سمعنا، لم نزل مصلّين وطالبين لأجلكم أن **تمتلئوا من معرفة مشيئته: في كل حكمة وفهم روحي.**» (كو١: ٩)

وواضح هنا أيضاً أن أهم شيء عند القديس بولس الرسول بالنسبة لشعب كنيسة كولوسي أن يغيِّروا شكلهم — أي سلوكهم وطبائعهم — **بأن يعرفوا مشيئة الله ويمتلئوا منها، أي أن تكون مشيئة الله مدروسة ومعروفة ومحبوبة، حتى تكون سيرتهم كلها حسب الروح.**

ثم يشير في نفس الآية إلى أن ذلك يستلزم أن يرتفع إدراكهم للأمور وتمييزهم بين ما يفيد ويضرُّ إلى مستوى الحكمة والفهم الروحيين، وبعبارة واضحة أن يكون **حكمهم على الأمور بمقياس روحي وليس بمقياس جسدي، أي يقوم على الوصية والإنجيل والكلمة، وليس على آراء الناس وأحكام العالم ومنفعة الجسد.**

وكيف تتجدد وتتحول نظرتنا للأمور والحكم عليها، وكذلك السلوك، من مستوى العالم والجسد إلى مستوى الروح والإنجيل ومشيئة الله؟

— «ولا تُشاكلوا هذا الدهر، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضيَّة الكاملة.» (رو١٢: ٢)

إذن، فالوسيلة لتغيير الشكل، الذي هو أسلوب التفكير والسلوك وتحويله من تفكير وسلوك جسديين عالميين إلى تفكير روحي وسلوك إنجيلي، هو أن يحدث تغيير للعقل متواصل، يتم بالتتلمذ للإنجيل وحفظ الوصايا وتذوُّق كلام الرب ونصائح وإرشادات الرسل والقديسين، لأن الوسيلة الوحيدة لتجديد العقل هي «الكلمة» في كل مواضعها السليمة في الإنجيل، في الرسائل، وفي وصايا ونصائح معلمي الكنيسة؛ فإذا تجدد العقل، أي صار روحياً، فإن السلوك سيصبح روحياً، وهذه هي مشيئة الله.

فلكي نمتلىء من السلوك الروحي، علينا أن نمتلىء من مشيئة الله التي تلازم تجديد الذهن، الذي يتجدد بالقراءة وتعلُّم الإنجيل وحفظ الوصية، بنيَّة مفتوحة وإرادة حاضرة وضمير ملتهب.

على أن لا ننسى أن الحفظ والفهم والتفكير القوي والحرارة القلبية هي لنا أقوى بقدر ما نكون مبكِّرين في ذلك: «أُذكرْ خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون حيث تقول ليس لي فيها سرور» (جا١٢: ١)؛ «كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير.» (١يو٢: ١٤)

٢ — معرفة إرادة الله بكل فهم روحي لتغيير كل شيء:
— «نحن الذين مُتنا عن الخطية (بموت المسيح) كيف نعيش بعد فيها. أم تجهلون أننا كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفنّا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة.» (رو٦: ٢—٤)

و يلزم أن نلتفت إلى السر القائم وراء عملية العماد التي تمت لنا ونحن أطفال، أنها كانت بمثابة عبور من عبودية إلى حرية. فقبل أن نعتمد كنا أولاد العالم وأبناء هذا الدهر، وكان ملك هذا العالم يستعبدنا، وكانت قوته التي يهيمن بها على جميع أبناء العالم هي الخطية، فكل مَنْ يطيع الخطية يصير عبداً تابعاً لرئيس هذا العالم. المسيح جاء مولوداً في هذا العالم، ولكنه «**ليس من هذا العالم**»، لذلك لم يكن تحت سلطان رئيس العالم «رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء» (يو١٤: ٣٠)، فهو «لم يفعل خطية» (١بط٢: ٢٢)!!، ثم إن رسالته كانت أن يُخرجنا من تحت سلطان رئيس هذا العالم و ينقل بنويَّتنا وميراثنا وشكلنا وطبيعتنا وكل حياتنا من تحت سلطان الشيطان وسلطان الخطية التي هي كل سلاحه. فبالنسبة لأولاد العالم الذين تحت عبودية رئيس هذا العالم بمقتضى صك الخطية المكتوب ضدهم، كان كلُّ مَنْ يموت منهم تصير روحه تحت سلطان الشيطان بمقتضى التبعية له: «مَنْ يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطىء» (١يو٣: ٨). ولهذا جاء المسيح ليلدنا لله من جديد، بأن يفكَّنا من سلطان الشيطان، أي يفكَّنا من سلطان الخطية ويمزق الصك بكل الديون التي علينا حتى إذا متنا لا نكون تابعين له، بل أن نأخذ من الآن بداية الحياة الجديدة مع الله وعربون الميلاد الثاني وعربون ميراثنا الأبدي لله.

لذلك كان الموت بحد ذاته، أي «**الموت البشري**»، يمثل أمام المسيح أخطر عدو، لأن بسلطان هذا الموت يتملك إبليس على كل الخطاة المديونين له بصكوك خطاياهم؛ لذلك عزَمَ المسيح أن يلغي **الموت البشري** الذي فيه يكمن كل سلطان الشيطان رئيس هذا العالم، فكان عليه أن يموت على أساس أن يقوم ثانياً، وهو إذا مات فإنه يموت **كممثل عن البشرية كلها باعتباره ابن الله** الذي صار جسداً، أي صار ابن الإنسان أيضاً: «إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا» (٢كو٥: ١٤). أما موته وهو بلا خطية قط، فسيكون عقوبة عن غيره «مات من أجل خطايانا» (١كو١٥: ٣)، وبما أنه يمثل البشرية كلها فهو بموته يكون قد دفع ثمن خطايا كل البشر، ومزَّق صك خطاياهم إلى الأبد، وحررهم من ربقة عبودية الشيطان،

وفكَّ رُبُط الخطية التي كان يكبِّل بها أسراه ومواطنيه المعذبين.

وختْم موت المسيح الذي ترك بصماته بالدم، كصبغة لا تفنى، على جسده والخشبة والأرض، كان ختماً حيًّا، لأن دمه فيه الحياة، لأن روح الله الأزلي في دمه وفي جسده وفي نفسه وفي روحه، لذلك قام من الأموات فداس الموت، موت الخطية، وألغاه عنا. فنحن، إن آمنا بالمسيح و باسمه وأخذنا ختمه، أي ختم دمه الذي فيه الروح القدس، فلن **نموت موت الخطاة**، ولن نموت **كأسْرَى للشيطان**، بل سنموت لنقوم مع المسيح، لأن علينا ختم دم المسيح الحيّ كصبغة روحية لها قوة الإقامة من الأموات بروح المسيح.

هذه هي المعمودية التي نُدفن فيها مع المسيح لنأخذ ختم دم المسيح الحيّ بروحه الأزلي، وهو صك حريتنا من عبودية الشيطان والخطية والعالم، وهو هو نفسه صك حريتنا في المسيح كأبناء قيامة وورثة. لذلك أصبح الصليب هو فخرنا في المسيح، وفي ذات الوقت السلاح الذي يرعب الشيطان.

وهكذا تظهر المعمودية كأخطر إجراء إيماني نجوزه بالجسد و بالنفس و بالروح و بالفكر، وهي عملية إيمانية حية ودائمة، فنحن معتمدون الآن للمسيح، أي مائتون معه لنفس الغاية التي مات من أجلها على الصليب، وهو إبطال سلطان الخطية. وهكذا لا يزال دم المسيح، الدم الذي أُهرق على الصليب، لا يزال يعمل عمله الحيّ الدائم فينا «ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (١يو١: ٧)، وهذا من جراء المعمودية التي اعتمدنا بها والتي لا تزال تعمل فينا، حتى الموت و بعده!

وهكذا أصبح سلوكنا حسب الروح قائماً على أساس الشركة في موت المسيح وقيامته العاملين فينا بالدم كل يوم وكل لحظة:

— «فدُفنَّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة.» (رو٦: ٤)

هذا هو الإنتقال من حياة حسب الجسد (تحت سلطان الخطية وعبودية الشيطان) إلى حياة حسب الروح بفعل دم المسيح لتطهير دائم وإعطاء روح القيامة الفعَّال لحياة جديدة.

هذا الإنتقال من عبودية الخطية إلى حرية أولاد الله ومن سلطان الشيطان إلى شركة المسيح ومن تهديد الموت تحت قصاص الخطيئة إلى قيامة مع المسيح لميراث الحياة الأبدية نصنعه مع المسيح والروح القدس في أفكارنا وعقولنا وعاداتنا وطبائعنا وأعضائنا كل يوم وعلى مدى الحياة، على قدر خضوعنا الكامل والصادق والأمين لكلمة الله:

— «... أنتم عبيد للذي تطيعونه إما للخطية للموت أو للطاعة للبر، فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية، ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها. وإذ أُعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر... كما قدمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم هكذا الآن قدِّموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة... لأن أجرة الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا.» (رو٦: ١٦—٢٣)

* * *

والآن واضح لكل ذي قلب مخلص وأمين على أي خط يكون السير الآن؟
حسب الجسد أم حسب الروح؟
ومن أين جاء الإنزلاق؟
أما أخطر منحنى، فيأتي من عدم طاعة التعليم — من القلب — الذي تسلمتموه.

— ١١ —

محاسبة النفس

□□□

ما من قديس من الآباء الرهبان الكبار الأوائل إلا ووضع فحص ومحاسبة النفس في أول قائمة نصائحه وعظاته. فالذي لا يجلس كل يوم يفحص أفكاره وسلوكه ويحاسب نفسه ويحكم عليها ويدينها، يتوه منه الطريق والهدف معاً، فلا هو يمسك بالصلاة والنسك، ولا هو ينظر إلى خلاصه «لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حُكِمَ علينا.» (١كو١١: ٣١)

حتى الكاهن لا يجوز له أن يمد يده إلى الذبيحة المقدسة، إلا بعد أن «يستبرئ ذِمَّته»، كما هو مكتوب في تعليمات الخولاجي المقدس.

وفي نص قداس «البيداخي»، الذي يمثل أقدم صورة لصلاة القداس ورفع الذبيحة، وقبل أن يبدأ التناول مباشرة، يصرخ الشماس في المتقدمين للتناول: «من هو طاهر فلْيتقدَّمْ. ومن ليس هو طاهراً فلْيَتُبْ». ومعروف أن التائب له خورس خلفي، وليس له أن يحضر قداس المتناولين بالمرة، بل يخرج بعد «قداس الكلمة»[1].

أي أنه لا راهبٌ ولا كاهنٌ ولا متناولٌ من جسد الرب مسموح له أن يتراءى في هيكل الله أمام الذبيحة، إلا بعد أن يحاسب نفسه! ويطمئن أنه متصالح مع ضميره بشهادة الروح المتكلم فيه والمسيح الذي تبنَّانا لله حسب جوهر الإيمان الذي نعيشه!

(١) أنظر كتاب: «الإفخارستيا والقداس» الجزء الأول — ص٤٠١ و٤٧٦.

— «جرِّبوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان، امتحنوا أنفسكم! أم لستم تعرفون أنفسكم؟ أن يسوع المسيح هو فيكم؟ إن لم تكونوا مرفوضين؟!!» (٢كو١٣: ٥)

ولكن لا بد أن توجد أساسيات إنجيلية ثابتة لدى كل إنسان يسعى بالروح حتى يستطيع أن يقيس عليها عندما يفحص أعماله وأفكاره ومبادئه التي يسير عليها، فتصير إدانتها والحكم عليها و بالتالي إصلاحها والتوبة عنها في قدرة الإنسان وتحت ناظرَيْه.

هذه الأساسيات يستقي منها الضمير تعليمه، فيصير رقيباً صالحاً متدرباً بحسب الإنجيل، سهل الإنصياع لمشورة الروح القدس، قابلاً للنمو في النعمة نحو الكمال المسيحي الذي يرجوه الله لنا بأمان.

الأساس الأول: هو مستوى الإيمان والثقة التي نعيش بها ونتعامل بها مع أنفسنا والله، في تحصيل مواعيد الله

وهنا إذا استقر الضمير على المستوى الصحيح للإيمان الذي ينبغي أن يتمسك به و يعيشه ويحقق به مواعيد الله، فإنه يأمن المسير في الطريق بحسب الإنجيل.

القديس بولس الرسول تعرَّض لتقرير المستوى الصحيح للإيمان الذي يعيش به، كأنه يعلِّم درساً في الإنجيل، ولكن عن طريق كشف أسراره هو من الداخل، معلناً و بإلهام الروح ما هو الإيمان الذي أعطاه له الله، والذي ينبغي أن يعيش عليه و يسلِّمه كما هو للكنيسة:

الإفتخار — الثقة الزائدة:

فنحن لا ننسى الدرس المرّ الذي أخذه في لحمه وعظامه عندما مال، أو خيف عليه من الميلان، نحو التعالي والتعظم أو الإفتخار بعلمه أو اختباره: «**ولئلا أرتفع** بفرط الإعلانات **أُعطيتُ شوكة في الجسد** — ملاكَ الشيطان — ليلطمني، **لئلا أرتفع.**» (٢كو١٢: ٧)

فانتبه القديس بولس الرسول انتباهاً قوياً مدى حياته أن يحترس جداً من الإفتخار أو التعالي بما حصَّله من إيمان واختبار، إسمعه وهو يقول في حذر شديد: «فإني إن أردتُ أن أفتخر، لا أكون غبياً، **لأني أقول الحق**، من جهة هذا أفتخر، ولكن **من جهة نفسي لا أفتخر إلا بضعفاتي**... ولكني **أتحاشى لئلا يظن أحد من جهتي فوق ما يراني أو يسمع مني.**» (٢كو١٢: ٦و٥)

هذا هو القديس بولس الرسول يكشف نفسه عن فحص ومحاسبة، محترساً كل الإحتراس لئلا يُفهم من كلامه أو منظره أو سلوكه أنه أكثر أو أعلى من حقيقة نفسه. هذه هي الأصالة في **الإيمان وعرض الإيمان** وفي **السلوك بدون تزييف أو تطفيف**، وكأنما يقيس كل شيء بميزان حق المسيح الذي فيه.

كذلك لا ننسى كيف يتكلم بحكمة الإيمان الصحيح عن ضعفاته وماضيه المخزي جداً، دون أن يؤثر ذلك قط على إيمانه ورجائه وحبه وفرحه في المسيح، حسب عمل الله بدم يسوع المسيح الذي غسله وقدَّسه و برَّره وصيَّره بلا لوم أمام محبة الآب؛ فإن ماضي القديس بولس الرسول على مستواه السيء هذا، لم يأكل ولا قيد شعرة من إيمانه وفرحه وسعيه لتكميل الخلاص، لذلك لا نسمع ولا نشعر من كلامه ولا من سلوكه أي نبرة من نبرات التشاؤم، أو اليأس، أو القنوط، أو العجز، أو الإرتداد، أو فقدان الثقة في الخلاص وفي الإنتصار على العالم كله وعلى كل قُوَى الشرير وكل جذب مهما كان مصدره ليفصله عن حبه في المسيح.

والعجيب أن القديس بولس الرسول يقلب الأمور قلباً مدهشاً، فهو لا يفتخر قط بما حقَّقه من إيمان وتقدم، بل يفتخر بتركه للماضي و يفتخر أنه لا ينظر إلى الوراء، بل و يفتخر بهذا الماضي الضعيف، والضعيف جداً، الذي وضع بصماته على شخصيته حتى يُبقي المجد والكرامة لله وليس منه!! كما يفتخر بكل إهانة وكل رفض وكلِّ إضطهاد وضيق حتى الرجم، مضيفاً ذلك إلى ماضيه فيتعزَّى، ولا يضيفه إلى كرامة الرسولية أو

إلى استحقاقاته كمن أعلن الله له كل أسراره المكتومة منذ الدهور، فيقول: «على سبيل الهوان أقول...» (٢كو١١: ٢١)؛ **«إن كان يجب الإفتخار فسأفتخر بأمور ضعفي»** (٢كو١١: ٣٠)؛ **«لذلك أُسرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح، لأني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي.»** (٢كو١٢: ١٠)

ثم يكشف لنا القديس بولس الرسول عن صحة الحركة الإيمانية داخله، **فهو لا يتجاوز الثقة بالإيمان إلى ما هو فوق حدود رؤيته أو إمكانياته الإيمانية، كما عبَّر هو:** «فوق ما ينبغي أن يرتئي (=يفكر) بل يرتئي (يفكر) إلى التعقُّل.» (رو١٢: ٣)

وفي نفس الوقت يحذِّر من النظر إلى خلف، أي إلى ضعفات الماضي، كما يعبِّر تعبيراً دقيقاً وكأنه يقدِّم اعترافاً لأهل فيلبي، أو دفاعاً عن الإيمان الصحيح:

— «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته... ليس إني قد نلتُ (هذه القوة أو هذه الشركة، أو صرت ميتاً بشبه المسيح) أو **صرت كاملاً** (في تحقيق هذه المواعيد) **ولكني أسعى لعلي أدرك** (هذا) الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع.» (في٣: ١٠و١٢)

ثم يعود و يؤكد ذلك مرة أخرى لينتبه كل واحد منا إلى المستوى الصحيح للإيمان الصحيح الذي يتحتم أن نسير بمقتضاه، ونفحص أنفسنا بمقتضاه، وندين أنفسنا على قياسه:

— «أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت ولكني أفعل شيئاً واحداً، إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدَّام، أسعى نحو الغرض (الحياة الأبدية) لأجل جِعَالة (مكافأة) دعوة الله العليا في المسيح يسوع.» (في٣: ١٣و١٤)

هنا نكون قد وقعنا على كنز، نحن الذين نريد أن نفحص ونحاسب وندين ونحكم على أنفسنا.

فالقديس بولس الرسول يقطع الطريق على الذين يتفاخرون بالإيمان كأنهم نالوا كل شيء في المسيح فيصيحون: هللويا. القديس بولس الرسول يحسم هذا التجاوز الإيماني بقوله: **«ليس إني قد نلت أو صرت كاملاً»... «لست أحسب نفسي أني قد أدركت.»**

كما يقطع خط الرجعة على الذين يستكثرون خطاياهم على دم المسيح و ينظرون إلى ماضيهم الضعيف وتعدياتهم وعثراتهم، فيفقدون الثقة، وتهبط عزائمهم و ينصدُّون عن الرجاء و يتوقفون عن الجهاد، يقول: «لكني **أفعل شيئاً واحداً...**»، أي إنه قد بقي باب واحد مفتوح أمام «أول الخطاة»، وسيظل مفتوحاً إلى أبد الآبدين أمام كل الخطاة، يدين كل من يتجاهله و يتعامى عنه بقصد القعود عن الجهاد بعلَّة يتعلل بها لنفسه؛ و يستمر القديس بولس الرسول ليشرح هذا الشيء الواحد الباقي أمامه: «أفعل شيئاً واحداً **إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدَّام**». حركتان، كلٌّ واحدة منهما عكس الأخرى، وكلٌّ واحدة تدفع الأخرى إلى الإتجاه المعاكس بقوة. فكلما أمتدُّ إلى ما هو قدام كلما أبعدُ عن الوراء، وكلما أبتعدُ عن خيالات ومناظر وأوجاع الماضي، كلما أندفعُ إلى قدام.

إذن، تأتي سرعة وكفاءة بل وامتياز القديس بولس الرسول في سعيه نحو الغرض (الحياة الأبدية) من تصميمه الجبار على **إلغاء الماضي بكل مخازيه وضعفاته وصوره والإبتعاد عن جذبه بأي وسيلة من الوسائل وإسقاطه من حساب الله.**

أما مركز كنزنا، نحن الخطاة، الذين نريد أن نفحص ونحاسب أنفسنا، فهو يقع في الوسط تماماً بين تخاذل الإيمان وانتفاخ الإيمان، و يتمركز في كلمة **«أسعى»**، «أفعل شيئاً واحداً» و**«أسعى»** !!

لاحظوا أن القديس بولس بقوله, **«أنسى»** ما هو «وراء»، لا يفيد معنى التجاهل والإستخفاف بالخطايا السالفة، ولا تظاهر الإنسان بأنه بلا ماضي. إن

القديس بولس الرسول يستخدم كلمة «أنسى» على المستوى الإيماني الداخلي الذاتي النفسي. أما على المستوى التاريخي أو التسجيلي فهو لم يكف قط عن ذكر ماضيه المخزي للغاية «الروح (الشيطان) الذي يعمل الآن في أبناء المعصية الذين **نحن أيضاً جميعاً** تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار. وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً.» (أف ٢ : ٢—٣)

إذن، فالماضي محفوظ جيداً في الذاكرة ومُعَدٌّ للإعتراف به كل لحظة، ولكنه من جهة الإيمان هو منسيٌّ تماماً، بل غير موجود ولا أثر له على الإطلاق في سعينا نحو الحياة الأبدية التي جعلها الله مكافأة سعيدة للذين يكملون سعيهم وجهادهم في ملء الإيمان والرجاء والثقة بصدق مواعيد الله.

فالقديس بولس الرسول نادى بحقوق الذين يؤمنون بالمسيح و يعتمدون لموته و يعيشون في رجاء قيامته ونصرته على العالم والجسد، «قد مُتنا معه»، «قد صُلبنا معه»، «قد قمنا معه»، «قد أجلسنا معه في السماو يات»، «صرنا أبناءً بالتبني»، «وورثة مع المسيح لله». هذه كلها حقوق مَنْ يعيش في صدق المواعيد، وكأنها صكوك أُعطيت له بالفعل، ولكن الجزاء أو الجعالة، وهي الحياة الأبدية مع الله في المسيح فهي **تنتظر تكميل السعي، وحفظ الإيمان، والأمانة في تصديق هذه المواعيد، والشهادة للمسيح والإعتراف العلني به، وغلبة العالم،** وحياة تقوى حسب الروح وليس حسب الجسد. لا كأننا نقوم بهذه المهمات العظمى والخطيرة بقدراتنا الشخصية بل بمؤازرة نعمة المسيح والخضوع لإرادته الفاعلة فينا لعمل كل صلاح: «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة.» (في ٢ : ١٣)

لذلك أصبح تكميل خلاصنا لا يحتاج منا إلا إلى الخضوع الكلي بمخافة لهذه المشيئة الإلهية المباركة العاملة فينا: «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في ٢ : ١٢). وهكذا فإنه بمجرد تسليم إرادتنا لله باستعداد الجهاد والطاعة بكل معناها، تبدأ إرادة الله في

السيطرة على كل الأمور داخلنا وخارجنا وتدبير فرص الخلاص حسب حاجتنا، سواء بالمر أو بالحلو.

الأساس الثاني: وهو مستوى الضمير، باعتباره الميزان الكشَّاف الذي يُفصح عن السعي السليم

أولاً: الضمير السَوِيُّ:

هو الضمير الذي تربى على الإنجيل والوصية في حضرة الرب وعمل الروح القدس، ولم يَعُدْ له حكم منعزل عن الإنجيل وتصير حساسيته تجاه السلوك:

أ — إما صارخة مشتكية ومحتجة ضد الإنسان.

ب — وإما راحة وسلام وفرح ومسرة، وذلك حسب التوافق مع اتجاه الإنجيل أو الخروج منه.

ثانياً: الضمير غير السَوِيّ:

ولكن يوجد ضمير غير متربي على الإنجيل وجاهل بالوصية:

أ — إما عن عمد، بسبب الإستهتار الناتج عن البيئة والمثال السيء من الأبو ين والإخوة والأصدقاء. وسمة هذا الضمير أنه مستهتر.

ب — وإما عن مرض نفساني، فَصَل التفكير والسلوك عن الضمير، فانكمش الضمير وضمر وفقد وظيفته كرقيب. وسمة هذا الضمير التبلُّد وعدم الإنفعال لخير أو لشر إلاَّ بقدر ضئيل لا يدوم.

حركة الضمير السوي:

نخرج من هذا أن هناك حركة داخل الضمير السويّ مسئولة عن فرح الإنسان وحزنه الروحي، فإن كان فيه المسيح والروح القدس، فحتماً سيوجد سلامٌ، وعلى ضوء الكلمة

والوصية :

— إما يشتكي الضمير ضد الإنسان، إن كانت الوصية (المحبوبة والمكرَّمة) مكسورة ومُهانة بالسلوك الخاطىء، أو من جراء الإهمال والإنحلال — وهنا لا يجد الإنسان لنفسه راحة ويخيم عليه القلق وعدم الرضى.

— وإما يفرح الضمير و يبتهج من جراء انسجام السلوك والشهادة والصلاة مع الوصية والإنجيل، و بالأكثر بسبب الإحساس برضى المسيح وتشجيع الروح. وهنا يعمُّ الإنسانَ سلامٌ داخليٌّ عميقٌ يكاد يكون بصورة دائمة.

هذا هو الميزان الحساس الذي يكشف للإنسان المدى الذي بلغه بالسلوك قياساً على كلمة الله والإنجيل في حضرة المسيح والروح.

حركة الضمير غير السوي وعودته المحمودة:

أ — الضمير الذي — عن غير مسئولية — تربى في غياب الإنجيل والكلمة و بالتالي بعيداً عن عمل الروح داخل الإنسان، وصارت سمته الإستهتار بقيم اللياقة والأدب والطهارة ومخافة الله أو حتى احترام شعور الناس، هذا إذا قُرِّب إليه الإنجيل بصورته الحية، وقُدِّمت إليه كلمة الحياة بلطف وتودُّد ولكن حادة كالسيف، فإنه ينفض عنه ثياب الغُربة و يقوم من غَفْلة السنين يطلب العودة بلهفة وغيرة وشجاعة وإصرار، لأن المسيح مات من أجل هؤلاء الذين يعبِّر عنهم المسيح بأنهم العائشون خارج السياجات، أي خارج متناول الكنيسة، هؤلاء أرسل إليهم المسيح الدعوة رسمياً للحضور جنباً إلى جنب مع أفخر المدعوين إلى عشاء العرس.

والعجيب أن سنكسار الكنيسة و بستان الرهبان مزدحم من أوله إلى آخره بعدد هائل من هؤلاء الذين تربُّوا وعاشوا خارج السياجات، ولما وصلتهم الدعوة لم يرتابوا بل وكأنهم كانوا على ميعاد مع قلب المسيح النابض بحبهم، هؤلاء منهم شاول (بولس) وزكا ومريم المجدلية والمرأة الخاطئة واللص اليمين وموسى الأسود وأوغسطينوس وماريا

الناسكة، وألوف لا تُعدُّ هي الآن متسربلة في السماء بثياب بيضاء حول الحمل. هؤلاء هم الذين بيَّضوا ثيابهم (أجسادهم وأعمالهم وكل ما يملكون) بدم الخروف الذي أخذوا منه ونضحوا على كل ما يملكون، جسداً وفكراً وضميراً ومشاعراً وعيوناً وأسماعاً وأعضاءً، من خلال أصوامهم وصلواتهم وسهراتهم ودموعهم وقرع صدورهم وسجودهم — وأخيراً بكلمة شهادتهم، التي بعد ما شهدوا بها ضد أنفسهم شهدوا لمسيحهم الحي الذي أقامهم من فساد قبور شهواتهم، بشبه لعازر.

هؤلاء محسوبون أنهم أئمةُ طائفةِ محاسبي النفس الذين فحصوا ذواتهم جيداً على نور الوصية وهُدَى كلمة الحياة وتشجيع الروح القدس لهم، حتى بلغوا القمة في يقظة الضمير وفحص الذات ودينونتها والحكم عليها وتابوا، فأخذوا صكاً مختوماً بالمعافاة والبراءة من الدينونة العتيدة أن تأتي على كل العالم. هؤلاء هم الذين حكموا على أنفسهم قبل أن يُحكم عليهم: «**لو كنا حكمنا على أنفسنا** لما حُكم علينا»، «ولكن إذ قد حُكم علينا نؤدَّب من الرب لكي **لا نُدان مع العالم.**» (١كو١١: ٣١و٣٢)

الخطاة المحبوبون:

ب — أما الضمير الذي فَقدَ سويَّته نتيجة لعوامل خارجة عن إرادة الإنسان كالمرض النفسي المتعددة أسبابه، فهؤلاء تسندهم الكنيسة كلها بصلواتها، فهم مُعانون بصلوات الأتقياء العائشين وصلوات القديسين المنتقلين، وشفاعة الروح القدس الذي يسدُّ عنهم أمام منبر المسيح الديان العادل، لأن المسيح لَبِسَ عجزهم عندما قال: «كنت مريضاً فزرتموني» (متى٢٥: ٣٦). والكنيسة حملت مسئوليتهم بصلاتها: «يا رجاءَ من **ليس له رجاء**، وعزاءَ **صغيري القلوب**». هؤلاء لا يُطلب منهم أكثر من أن يلتصقوا بالكنيسة كلما أمكنهم.

ثالثاً: الطهارة كميزان لفحص الذات:

— «أذكر من أين سَقَطْتَ وتُبْ.» (رؤ٢: ٥)

+ الطاهر بفكره، طاهر بجسده.

+ والطاهر بعينه، طاهر بقلبه.

+ والطاهر بالنية، طاهر بالفعل.

+ والذي يضع الطهارة **هدفاً** واحداً محدداً يسعى نحوه بكل جهده دون تراخٍ أو ميلان، ولا يتنازل عنه حتى لو قُطعت أعضاؤه، يصير طاهراً حتى ولو مات دون أن يبلغ قمتها!!

+ والذي لو ذُكِر اسم المسيح أمامه، فابتهجت روحه واحترَّ قلبه بحرارة حب نحوه، دلّ ذلك على أنه يعيش في مجال الطهارة وجذبها مهما تشاغبت أعضاؤه وتضافرت عليه أعداؤه، فالنصرة تنتظره وإكليل الطهارة مرسوم على هامته.

+ الذي يشتهي سِيَر القديسين و يتلوها بدموع كثيرة وشوق ووجع قلب، برجاء أن تنطبع سيرهم على قلبه وتصير هادية له في سيره، فهو سيبلغ إليهم سريعاً، وسيُعان بصلواتهم و يفرح بزمرتهم و يُدعى إلى شركتهم.

+ والذي قطع على نفسه أن يقف ضميره يقظاً كالحارس المتحفز لضبط أول لص قادم، فإنه لن يُسرق من سطو شيطان الزنا الذي يغافل الغافلين و يدخل و يسرق و ينهب، و يعتاد الدخول حتى يجد له موضعاً: «عهداً قطعتُ لعينيَّ فكيف أتطلّع في عذراء.» (أي ٣١: ١)

والضمير المتدرب يعرف من أين يأتي اللص سارق العفة، فيحفظ مداخله حفظاً يقظاً، سواء على أذنيه أو عينيه أو فكره أو حركة أعضائه أو ملء بطنه أو صورة ما، فلا يؤخَذ على غِرَّة، لأنه ختم كل مدخل بختم الصليب و بدموع التوسل و بعزيمة من حديد.

الضمير الطاهر يشم رائحة شيطان النجاسة من بُعدٍ، فيستعد له، لأنه شيطان مفضوح ويحب الفضيحة، ليس له عمل في الخفاء، فهو رئيس الهواء، وكل ما كان مخفياً يسرع و يعلنه حتى يُسقط أسراه في اليأس حينما يُشاع خبرهم!! و يسرع ليرمي حجاباً كثيفاً على العقل حتى لا يتوبوا ولا يتذكروا كيف خَلَصَتْ وتابت المرأة الخاطئة المعروفة

في المدينة كلها، التي شهَّر بها الشيطان فصارت كشهرة تمثال وسط المدينة، ولكنها داست الفضيحة بشجاعتها، وغلبت الخجل بتوبتها، وتحدّت الأتقياء في نظر أنفسهم بإعلانها عن توبتها جهاراً.

لذلك، فالضمير اليقظ الحذر يخرج سريعاً جداً بأعماله إلى النور، ولا يسلك في الظلام، ولا يدع أحداً يجرُّه إلى الظلام. ليس لديه أسرار، ولا يتكلم في الخفاء ولا من خلف الجدران، لا يهمس خوفاً من أحد، ولا يقبل صداقة سرية لأحد أو من أحد، لأن من وراء هذا كله يربض شيطان العلاقات المشبوهة.

فإذا رأيت اثنين في خلوة — وقد اعتادا عليها — فهذا الشيطان عينه هو ثالثهم، لأن ليس خلوة مقبولة أو مسموح بها أمام الله والناس إلاّ الخلوة مع المسيح!!

مركز الطهارة بالنسبة لكل أعمال وأنشطة الإنسان — أو بالنسبة لحياة الإنسان على الأرض:

— «حسنٌ للرجل أن لا يمسَّ امرأة.» (١ كو٧: ١)

— «لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا.» (١ كو٧: ٧)

— «أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا.» (١ كو٧: ٨)

— «غير أنه كما قَسَمَ الله لكل واحد، كما دعا الرب كل واحد هكذا ليسلك... الدعوة التي دُعي فيها كل واحد فليَلْبثْ فيها.» (١ كو٧: ١٧و٢٠)

— «غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يُرضي الرب.» (١ كو٧: ٣٢)

— «هذا أقوله لخيركم، ليس لكي أُلقي عليكم فخاً (أورطكم) بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك.» (١ كو٧: ٣٥ — ترجمة دقيقة حسب النص اليوناني)

— «إذن، مَن زوَّج فحسناً يفعل، ومَن لا يزوِّج يفعل أحسن.» (١ كو٧: ٣٨)

إن انحياز القديس بولس الرسول لحياة البتولية بقصد حياة الطهارة تقوم على عدة

أسس :

الأساس الأول : إختيار بمقتضى ما تركوه وأنكروه وخلعوه عموماً ، وبمقتضى ما حازوه وكسبوه ولبسوه عموماً .

لأنه يكلم مؤمنين روحانيين **قد صُلبوا مع المسيح ، وماتوا ، مدفونين** معه في المعمودية **وهم يميتون أعضاءهم** التي على الأرض ليكونوا **متشبهين بموت المسيح ، وخلعوا الإنسان العتيق** مع كل أعماله .

ولأنهم حازوا نعمة المسيح بعمل الروح القدس ، فأصبحوا **مقدَّسين بالحق في المسيح ، ولهم ضمير لا يحمل — بعدُ — وِزْرَ الأعمال الميتة ، إذ أن قلوبهم مرشوشة دائماً بدم المسيح** العامل فيهم بروح أزلي ، وإن الروح القدس أصبح يعمل فيهم بصورة فعلية ضد أهواء وشهوات الجسد ، وإنهم استحسنوا أن يُبقوا المسيح في معرفتهم ، لأن المسيح نفسه يحيا فيهم ، موحياً لهم بأفضلية القداسة والطهارة التي بدونها لن يرى أحد وجه الله . ولأنهم قد لبسوا الإنسان الجديد ، بل لبسوا المسيح ، ولأنه أصبحت سيرتهم [(Conversation) أي حديث قلوبهم وفكرهم الدائم] مكتوبة في السموات ، التي منها بشوق ولهفة وصلاة ينتظرون بل و يطلبون دائماً وفي كل صلاة سرعة مجيء الرب ، وفي النهاية لأنهم قد تغيروا عن شكلهم بتجديد أذهانهم ، ولم يعودوا بعد يشاكلون أهل هذا الدهر ، و بالأكثر لأنهم قد خرجوا من وسط الذين يعيشون لهذا العالم واعتزلوا — كلما أمكن — في مخادعهم وصارت صلواتهم في الخفاء ممارسة كل يوم .

نعم ، بسبب هذا وذاك أصبح من الملائم ، بل وأصبح من اللازم لهم ليكملوا خلاصهم بخوف ورعدة ، بل أصبح من المحتم عليهم فعلاً ، إن كانوا قد قاموا مع المسيح ، وصارت عيونهم إلى فوق ، ويهتمون فعلاً فيما للرب :

— أن لا يمس رجل امرأة ، أو بالعكس ،

— أن يبقوا بتوليين ، كما بولس أيضاً .

الأساس الثاني : إختيار ما لا يزول ، والإنحياز له ، **إذا ما قورن أو وُضع للإختيار أمام ما يزول و يفسد ، ونتركه سريعاً حتماً** ورغماً عنا **!!**

— « هذا حسنٌ بسبب الضيق الحاضر أنه حسنٌ للإنسان أن يكون هكذا » .

— « أما أنا فإني أُشفق عليكم ، فأقول هذا ، أيها الإخوة ، الوقت **منذ الآن** (بدء معرفة المسيح والإنتماء للخلاص والدخول في زمرة القديسين) مقصَّرٌ ، لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم... لأن هيئة هذا العالم تزول . » (١ كو ٧ : ٢٦ — ٣١)

— « طهّروا نفوسكم في طاعة الحق (الوصية) بالروح ، للمحبة الأخوية العديمة الرياء . فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب **طاهر** بشدة ، مولودين ثانية (لحياة طاهرة لا تزول) **لا من زرع يفنى** (زرع الرجل هو خلاياه الذكرية الحاملة بذرة الحياة الجسدية وباقي صفات الجسد . وهذه « النطفة » إذا لم تلقِّح البويضة فإنها تنتن وتفسد ، وإذا لقَّحت البويضة تخلق إنساناً يكبر ثم يموت و يفسد) ، **بل مما لا يفنى** (وهذا هو زرع الله أي بذرة الحياة الإلهية وهي موجودة في **كلمة** الحياة سواء بالإنجيل أو بالسر أو مجسمة في المسيح لأن المسيح هو « **كلمة** » الله الحية الخالقة للإنسان الجديد الذي له صورة خالقه في المجد) بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد — لأن كل جسد (نتاج زرع الرجل) كعشب ، وكلّ مجد إنسان كزهر عشب ، العشب يبس وزهره سقط ، وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد ، وهذه هي الكلمة التي بُشرتم بها . » (١ بط ١ : ٢٢ — ٢٥)

— « فبما أن هذه كلها تنحل ، أيّ أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى ؟ » (٢ بط ٣ : ١١)

و واضح أمامنا نحن الذين نرى ونحس ونعدُّ الأيام والليالي والشهور والسنين كيف تجري أمامنا تاركة وراءها حطام الأجساد التي أخفقت أن تلتقط نقطة التحول السريّة ،

لتعبر من قطار أوهام الملذات والراحات الفاخر الكاذب إلى القطار الإلهي المدموغ بالدم، الذي ليس له منظر خارجي فنشتهيه، والصاعد إلى فوق ضد كل جاذبية الأرض الساحرة، وعكس كل شهوات الجسد وآماله القصيرة الحائرة.

كما هو واضح أمام عيوننا جمال الأجساد الباهر وأمجاد وشهرة المتفوقين في علوم وفنون هذا الدهر بالأوسمة والنياشين، وصيتهم الذي يملأ كل الدنيا — ثم كيف تذبل قليلاً قليلاً هذه الأسماء وتضمحل القوة وتكلُّ العيون وترتعش الأيدي و يرقد الجسد كسيحاً، ثم يطويه التراب ومعه أمجاده وتاريخه معه بعد سنين قليلة.

إن وصف القديس بطرس الرسول هذا كله بالعشب وجمال زهوره يختزل لنا جداً حياة الإنسان في موسم زرع واحد يمر أمامنا مئات المرات. فهل وعينا الفارق الهائل بين الميت الزائل والحي الذي لا يموت؟
هنا ميزان فحص الذات والحكم عليها، هنا قياس الدينونة.

الأساس الثالث: خطورة المزج بين ممارسة أصول العبادة مع حياة منحلة، وخطورة الجمع بين حياة خارجية لها صورة التقوى وحياة داخلية فاسدة.

سقطة شبه مميتة، إن كنا بعد أن اعتمدنا للرب ولبسنا المسيح، وأخذنا خاتم الروح القدس، ونلنا عهد البنويَّة لله في المسيح، وأخذنا صك الميراث الأبدي المحفوظ لنا في السموات، نقول، إن كنا بعد هذا نعود إلى نجاسات وقباحات أعمال الوثنيين، أي الذين بلا إله بلا روح بلا عهد بلا مواعيد بلا رجاء بلا خلاص!!، هؤلاء شبههم القديس بطرس الرسول بالكلب الذي عاد ليلعق قيئه... والخنزيرة التي بعد أن اغتسلت، ذهبت للغوص في الطين.

— «لأنه إذا كانوا بعدما هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلِّص يسوع

المسيح يرتبكون أيضاً فيها فينغلبون، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل، لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلَّمة لهم. قد أصابهم ما في المثل الصادق: كلب عاد إلى قيئه، وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة.» (٢بط٢: ٢٠—٢٢)

لماذا هنا يفضِّل القديس بطرس الرسول عدم معرفتهم طريق البر من أن يرتدوا بعد أن عرفوه؟ لابد هنا من ضرر بليغ!! أتُصدِّق؟ أيها الراهب المغتسل بالدم، أن الضرر هنا يقع على المسيح؟ «الذي تقول أن لا يُزنى أتزني؟... أبتعدِّي الناموس تهين الله؟ لأن اسم الله يجدَّف عليه بسببكم.» (رو٢: ٢٢—٢٤)

هنا يبرز القديس بولس الرسول حقيقة خطيرة مخفية عن عيوننا: إنه كما يلتصق الإنسان مع المسيح بروحه فيصير مع الرب روحاً واحداً (١كو٦: ١٧) أي تتحد روحه بروح المسيح؛ كذلك حينما يلتصق إنسان بزانية يصير معها جسداً واحداً (١كو٦: ١٦).

يعود القديس بولس الرسول يوضِّح أسرار العلاقة الروحية التي تربطنا بالمسيح ومدى المسئولية الخطيرة المترتبة على ذلك كالمسئولية التي تترتب على إنسان يولد للمُلك، فإنه في الحال يدخل تحت تقاليد وأصول و واجبات مُلزمة، فتصير كل كلماته وحركاته وتصرفاته تحت الرقابة والفحص والحكم، بحيث أنه إذا خرج عن الأصول الملكية، يفقد في الحال صفته الملكية و يصير واحداً من عامة الشعب!!

— «ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاءُ المسيح؟ أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاءَ زانيةٍ؟ حاشا.» (١كو٦: ١٥)
— «ألستم تعلمون أن مَن... **إلتصق بالرب فهو روح واحد!!؟؟** اهربوا من الزنا. كل خطية يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يخطىء إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتُريتم بثمن، فمجدوا الله في أجسادكم وأرواحكم

التي هي لله!!» (١ كو٦: ١٦ — ٢٠)

واضح هنا أن خطية الزنا تفضح اسم المسيح وجسد المسيح وروح المسيح، مع أن المطلوب منا بعد أن أخذنا روح المسيح وصرنا روحاً واحداً مع الرب أن **نمجّد الرب في أجسادنا** بالطهارة بشدة ككنز من دم المسيح داخل القلب ينضح قوة على الأعضاء، لأن هذا بحد ذاته شهادة للمسيح ولعمل دمه.

كل خطية لا تؤثر في الجسد، ولكن الزنا يحلُّ الرباط الذي يربطنا بجسد المسيح، وبالتالي يفقدنا كل مذخرات جسد المسيح فينا، إذ يوقف عمل القيامة وعمل الروح القدس، لذلك يصرخ القديس بولس الرسول: «لا تضلُّوا، لا زناة ولا عبدة أوثان (أعمال ما قبل المعمودية) ولا فاسقون (محترفو الزنا) ولا مأبونون (الذكور الذين يضاجعهم ذكور) ولا مضاجعو ذكور... يرثون ملكوت الله.» (١ كو٦: ٩و١٠)

وهنا ينفعل القديس بولس الرسول، إذ يرى أمامه هول الإساءة التي تصيب عمل المسيح فينا وتفسد الخليقة الجديدة مرة أخرى، فيصرخ من جهة هذا قائلاً: «أمَا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحدٌ يفسد هيكل الله فسيفسده الله، لأن هيكل الله مقدَّس الذي أنتم هو.» (١ كو٣: ١٦و١٧)

مصاعب الطهارة:

كل الغرائز لها إلحاحات تؤثر على النفس والجسد بشبه الدائرة الكهربائية.

غريزة الأكل كمثال: غريزة الأكل هي وُضعت في الإنسان لمواصلة حياة الإنسان في داخله. فغريزة الأكل، مثلاً، حينما تُثار برائحة شهية لطعام ما، فأول ما يتأثر هو الجهاز التنفسي حيث تنفعل النفس وتعطي إشارة عن طريق الأعصاب لتفرز المعدة عصارتها وتفرز الغدد اللعابية في الفم إفرازاتها، وهذه بدورها تضغط على الإرادة والتفكير، وتظل تضغط حتى يستجيب الإنسان للأكل. وهنا تكمل الدائرة بسرعة معينة تتناسب مع أعواز الجسد، بل وتتناغم مع الحياة كلها.

أما عدم إكتمال الدائرة في الطريق، سواء بسبب عدم إستجابة النفس أو عدم إفراز العصارات أو عدم إستجابة الإرادة، فهذا يُحدث **ردَّ فعل**، فتنخفض سرعة الإستجابات المتعددة وتظل تنخفض السرعة إلى أن تتوقف، بمعنى أن يتوقف الإنسان عن تناول الطعام للدرجة التي فيها يصعب عليه الأكل سواء بإرادته بالصوم الإختياري أو عن ضرورة تحتمها الظروف كالفاقة أو الحزن الشديد أو المرض. وهنا تكون محصلة الإمتناع عن الأكل هزالاً للجسد كله، أما النفس فإذ تنصدُّ عن الأكل، تبدأ تأخذ سمات الجوع المتواصل: الهدوء والإنسحاق والتذلل، خاصة إذا كان الجوع المتواصل عن إرادة الصوم، أما المعدة فتكفُّ عن الجوع.

ولكن إذا أعدنا النظر في «**دائرة غريزة**» الأكل وحاولنا معرفة النتائج لو أثرنا هذه الغريزة باستمرار لتزداد سرعة عمل الدائرة، أي الإكثار من الأكل بإثارة الرائحة (أو المنظر أو التخيُّل أو ذكر أسماء الأطعمة) إلى الإثارة الصناعية لإفراز العصارات إلى التسليم لإرادة الأكل وسرعة الإستجابة أكثر من المستوى الطبيعي لغريزة الأكل، فإنه يحدث ردُّ فعل آخر إذا تكرر يبدأ يشكِّل النفس بصفات ممقوتة تطبع أثرها على كل التفكير والسلوك إلى درجة اقتراف الجريمة لإشباع غريزة الأكل. أما المعدة فتبدأ تطلب الأكل في غير ميعاده وتستقبل كميات أكثر وتهضم أكثر وأسرع، وهذا بدوره يؤثر على الجسد كله حتى يصير مزاج الإنسان كله وسلوكه مرتبطاً أساساً بالأكل.

أما غريزة الجنس، فقد وُضعت في الإنسان لمواصلة الحياة الخارجة عنه بالإنجاب. فإن كانت غريزة الأكل تمثل في مجموعها «الأخذ»؛ فغريزة الجنس تمثل في مجموعها «العطاء».

إلحاح غريزة الأكل هو الجوع، جوع البطن؛ وإلحاح غريزة الجنس هو الجوع الجنسي أيضاً. ولكن كما في الغريزة الأولى، إذا لم تكمل الدائرة وتوقفت من أولها بالإمتناع عن تقبُّل التأثيرات وتوقُّف الإرادة عن التنفيذ وحصول ردِّ فعل ينتهي بالتكرار إلى بطء

سريان إلحاحات الأكل؛ هكذا يحدث في الغريزة الجنسية. في الأكل إذا توقف عمل الغريزة نهائياً يحدث الهزال، الذي إذا استمر تحدث الوفاة، لأن غريزة الأكل تقوم أساساً على «**الأخذ**» لملء البطن؛ أما في غريزة الجنس فالإمتناع عن ممارسة إلحاحاتها لا ينتهي الى هزال بل ربما العكس، لأن هرمون الجنس يحمل سرَّ تنشيط عمليات البناء في الجسد، فاستنزافه هو الذي يؤدي إلى الهزال وضعف الشخصية، وربما الموت؛ في حين أن عدم الإفراط فيه، أو بالأحرى تدريب الأعضاء على **عدم التخلّص منه**، يوجّه إلى السريان في الدم لتنشيط كل عمليات البناء والحياة، كما يضفي على النفس إتزاناً وعلى العقل قوة وعلى الفكر حيوية ونشاطاً.

ومن الحقائق المدهشة أن الغدد الجنسية إذا أُثيرت بانتظام تعودت على الإفراز بانتظام، فإذا أُثيرت أكثر من اللازم تنشطت لتفرز أكثر. ولكن، وهذا هو العجيب حقاً، أنه إذا لم تُثَرْ واحتفظت بالهرمون داخل الجسم وظل يسري من تلقاء ذاته في الدم، فإنه يقوم بدوره في التأثير على الغدد التي تفرزه لكي تقلل من معدل إفرازه. وهكذا بقدر ما تهدأ الأعضاء تهدأ الغدد، والعكس صحيح.

لذلك، فإن الصعوبة النظرية التي تواجه الفكر من جهة كيف يتسنى للإنسان التحكُّم في غدده الجنسية ونشاطها، هي صعوبة نظرية وليست عملية، إذ بالإختبار وُجد أن الغدد تكيِّف نفسها بمعدل نشاط الأعضاء وضبط إستثارتها. والزائد تفرزه الغدد إما أثناء الليل بالإحتلام حيث يصاحب الإفراز أحلام يشكِّلها اللاشعور لتناسب التفريغ الجنسي، وهي تكون أحلاماً جنسية حتى تقبلها ميكانيكية النوم، فلا يستيقظ الإنسان أثناءها، لذلك تسمى أحلاماً ضابطة للنوم، وإما تُفرَز مع البول أو بعده بلا أي تدخل إرادي.

وبناءً على ذلك، يستطيع القارىء أن يفهم أن ضبط الغريزة الجنسية يتوقف على عدم إثارة الأعضاء، وهذه أول حركة في الدائرة الجنسية التي تسري كالكهرباء.

وعدم الإثارة الجنسية يعتمد على حفظ الحواس والتفكير، كما يعتمد على إحتمال حركة الأعضاء اللاإرادية حتى تهدأ من ذاتها: وكلما بدأ الشاب مبكراً جداً في الإحتفاظ بعفته وهدوء أعضائه وعدم إثارتها، فإنه لن يواجه صعوبات في حياته بعد ذلك.

أما العاطفة الجنسية، وهي الجزء النفسي في الغريزة الجنسية، فهي النشاط المرافق للنشاط العضوي أي لنشاط الغدد وسريان الهرمون في الدم، حيث ينبه هذا الهرمون كل الأحاسيس النفسية في الشعور واللاشعور، وهذا غرسه الله في الإنسان: «وإلى رَجُلكِ يكون اشتياقُكِ» (تك٣: ١٦)، وذلك ليسهل على الإنسان ويشوّقه للحياة الزوجية، وهذا هو المعادل لفتح الشهية في غريزة الأكل، فلولا هذه الشهية، ما أراد الإنسان أن يأكل، فعملية الأكل وما يسبقها من إعداد وجهاد حتى يأكل الإنسان لقمته هي عملية شاقة غاية المشقة، ولكن بسبب شهية الأكل فالإنسان يحتمل كل المشاق لكي يجلس ويأكل لقمته.

هكذا في الناحية الجنسية، فلولا أن الله وضع في الإنسان العاطفة الجنسية لكل جنس نحو الآخر لمتابعة إنجاب الأولاد لإستمرار الحياة، ما أقبل الإنسان على الزواج لكُلفته الباهظة جداً، سواء مادياً أو عصبياً أو جسمانياً أو نفسياً أو حتى عقلياً، لأن الزواج وما يحتاجه من قبل ومن بعد من مال وتربية أولاد والقيام بأعباء الأسرة، يُعتبر أضخم ضريبة يدفعها الإنسان في حياته لمتابعة مسلسل الإنجاب وحفظ النسل.

فلو تفهمنا هدف هذه العاطفة الجنسية الذي تخفيه وراءها، لما تلاعبنا بها لإشباعها بمفردها دون القيام بما وراؤها من أعباء.

والعجيب حقاً، كما سبق وقلنا، أن نشاط العاطفة الجنسية متوقف على مدى نشاط الغدد الجنسية ذاتها الذي يتوقف بدوره على مدى نشاط الأعضاء. فالمولود خصيًّا مثلاً لا نجد عنده غدداً جنسية عاملة، وبالتالي يجد أن أعضاءه الجنسية ضامرة، وبالتالي نجده لم يُحمَّل بعبء العاطفة الجنسية، وهذا هو العدل كل العدل الإلهي والطبيعي معاً، فكيف

يُثقّل إنسانٌ بعبء العاطفة الجنسية وهو غير مطلوب منه، بحسب خلقته، أن يقوم بأعباء أسرة؟

وهكذا يسهل على الراهب أن يفهم أن مسلسل **الغدد، الأعضاء، العاطفة،** مرتبط بعضه بالبعض إرتباطاً يكاد يكون ميكانيكياً — إن صحَّ هذا التعبير (لأن الأمر يختص بفسيولوجية الجسم وارتباطها بالشعور واللاشعور)، فإذا أُثير واحد من هذه الثلاثة، فلا بد أن تُثار البقية، فإذا لم تلقَ الإستجابة أو الشبع — وهذا هو وضع الراهب — البتول — فإن الجوع الجنسي يتحول إلى حرمان، والحرمان يتحول تلقائياً إلى كبت، أي الإخماد الظاهري للجنس، وهذا يولِّد القلق، والكآبة، والضيق، والنرفزة، وعدم الرضى بكل شيء، ونقد كل شيء، دون أن يعرف الإنسان سبب ذلك.

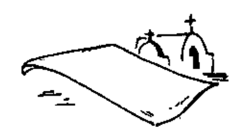
التصحيح:

ليكن في علم الراهب أن الغدد الجنسية وإفرازاتها ذات أهمية بالغة لنضوج الإنسان النفسي والفكري والجسدي، فهي كنز محفوظ في الداخل يمدُّ الحياة بأعظم وأغلى ما فيها ليعيش الإنسان سويًّا شاكراً راضياً هادئاً فرحاً بالحياة، لدرجة أن قدماء المصريين كانوا يقدسون الأعضاء الجنسية و يرسمونها بكل تجلة واحترام، لأنها — حسب عقيدتهم — هي «مصدر الحياة».

فكما سبق وشرحت، فإن عدم إثارة الأعضاء بأي مؤثر كفيل بأن يجعل الغدد تهدىء نفسها بنفسها وتفرز ما هو لازم للجسم، وتتخلص من الزائد عن طريق القنوات المشروعة، أي بالإحتلام الليلي أو مع البول أو بعده دون تدخُّل الإرادة.

ومن حيث العاطفة، فهي ديناميكية، أي متفجرة فعّالة متحركة، تنطلق من الإنسان تبحث عمَّن تحبه. لأن العاطفة الجنسية هي ديناميكية الحب الذي يصنع منها الحب أعاجيبه. وسيّان أكان هذا الحب لآخر بهدف الزواج في النهاية وإنجاب الأولاد، أو يكون هذا الآخر هو الله نفسه، الذي إذا عَثَرَت عليه النفس وارتاحت فيه فإنها تفرغ

كل طاقة العاطفة فيه؛ فإذا كانت صادقة وأمينة في حبها، فإنها تتلقى من الله الإستجابة، عاطفة بعاطفة، فتحس بالإشباع الذي يجعلها تشتعل كما بلهيب النار، فرحاً وابتهاجاً، فتجد في الله راحتها واكتمالها في كل شيء: «مَنْ لي في السماء، ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (مز٧٣: ٢٥) «حبيبي لي وأنا له» (نش٢: ١٦) «الذي يحبني... أنا أحبه» (يو١٤: ٢١). وبذلك يبلغ الإنسان كمال مشتهاه. وكما رأينا فإن القاعدة الهائلة التي انطلق منها نحو الله هي غرائزه الجنسية المليئة بالأسرار والأعاجيب، على شرط أن لا يميل قط نحو الإحساس بالحرمان.



— ١٢ —

«أنْ تمتلئوا من معرفة مشيئة الله» (١)

«لم نَزَلْ مصلّين وطالبين لأجلكم
أن تمتلئوا من معرفة مشيئة الله في كل حكمة وفهم روحي»
(كولوسي ١ : ٩)

□□□

كيف أمتلىء من معرفة مشيئة الله؟

أو كما جاءت في آية أخرى أشد إلحاحاً «تغيَّروا... **لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المَرْضيَّة الكاملة**» (رو١٢: ٢)؟

في البداية يلزم أن نضع أساس علاقة الأخذ والعطاء بين الله والإنسان، لأنه يلزم أن نعرف أن الله هو البادىء أولاً أو صاحب المبادرة، سواء في الدعوة أو في الإختيار «**ليس أنتم** اخترتموني بل **أنا اخترتكم** وأقمتكم» (يو١٥: ١٦)، بل يمتد اختيار الله بحسب مشيئته الأزلية إلى ما قبل خلقة العالم نفسه: «كما **اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين** و بلا لوم قُدَّامه في المحبة» (أف ١: ٤). «وأما نحن فينبغي لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم، أيها الإخوة المحبوبون من الرب، **أنَّ الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق.**» (٢تس ٢: ١٣)

وهكذا أيها الإخوة إذ يتأسس في ذهن وقلب كل واحد منا أننا مختارون من الله

(١) يلاحظ القارىء هنا أني لا أفحص كيف أعرف مشيئة الله في تصرفاتي اليومية بل كيف «أمتلىء» وهذا هدف أثمن بكثير.

بدعوة سماوية، سبق أن قررها الله باسم كل واحد منا حتى قبل إنشاء العالم، هذا أصل وأول كل شيء وآخر كل شيء، وهو مفتاح معرفتنا لأسرار الله، وهو المدخل القانوني والرسمي لطلب المزيد من معرفته بلا شبع. لهذا فإن مثل هذه الدعوة وهذا الإختيار ينبغي أن يأخذا احترامها الشديد وتقديرهما العمليين في أعماقنا، وكما يقول القديس بولس الرسول: «**ينبغي أن نشكر الله كل حين، ... أن الله اختاركم من البدء...**»

هذا الإختيار السماوي يجعلنا وكأننا على ميعاد دائم مع الذي اختارنا و بلا مانع لنعرف منه كل حدود اختيارنا هذا وقيمته وهدفه وقوته ووسائله: «كي **يعطيكم** إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد **روح الحكمة والإعلان في معرفته: مستنيرةً عيون أذهانكم لتعلموا** ما هو **رجاء دعوته**، وما هو غنى **مجد ميراثه** في القديسين، وما هي **عظمة قدرته الفائقة** نحونا نحن المؤمنين **حسب عمل شدة قوته.**» (أف ١: ١٧—١٩)

الروح يفتح أمامنا هنا مجالات تكاد تكون مغلقة ومبهمة ومستبعدة عن فكرنا وعن إيماننا وعن رجائنا حتى في أحسن الأحوال:

— فهل نحن هكذا مختارون بالإسم لنكون قديسين؛ ومن قبل إنشاء العالم في المسيح؟

— وهل حقيقة:

أن الله اختارنا من البدء للخلاص وذلك بالعمل الذي سيضطلع هو به بالروح القدس حينما يقدسنا حسب سخاء نعمته مجاناً؟

— وأنَّ الله مستعد في كل وقت نطلب فيه الحكمة من فوق من عند أبي الأنوار فتُعطى بسخاء بمجرد تصديق الوعد والحق الإلهيين؟

— وأنَّ من ينال حكمة من الله ينال فهماً روحياً، بهما يستعلن المسيح في معرفتنا فنعرفه ونعرف «قوة قيامته وشركة آلامه» (في ٣: ١٠) كسِرٍّ كان مختوماً في كافة الأجيال ومخفياً عن جميع الناس، وهو الآن في متناول معرفتنا بمقتضى وعد الله الحق لكل

— أما **هـذه الـدعـوة** التي دُعينـا إليها لميراث مجد المسيح التي هي **مِلْكٌ لكل من يـرجـوهـا رجـاءً حـياً** بيقين وثقة لا تتزعزع ، فهي **تحتاج إلى استنارة الذهن ليكون لنا عـيـون مـفـتـوحـة** على مجد الله كعيني إستفانوس وهو تحت الرجم لما رأى السماء نفسها مفتوحة والمسيح جالس عن يمين القوة في السماء .

— هـذا كـلـه على أسـاس أن كـل غنى عـطاياه الفائقة لنا إنما ستعود إليه مرة أخرى بـكـامـلـهـا لأنـنـا سـنـصـبـح مـيراثه أمام أبيه : « ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله . » (عب ٢ : ١٣)

ونحن سـنـصير جزءاً حـياً من مجده هو، إذ يقول الوحي صراحةً : « **وما هو غنى مجد مـيراثـه في القديسين** » . ولذلك هو لا يستحي بضعفنا الآن : « ولا يستحي أن يدعوهم إخوة . » (عب ٢ : ١١)

— وحتى الله لا يـسـتـحـي بِذُلِّنا وحقارتنا طالما نحن تغربنا عن العالم حباً فيه ووطَّدنا الـعـزم أن نـطـلـب الوطن الأفضل أي السماوي عنده ، مهما كان قصورنا وعجزنا عن أن نـوفي مـطـالـب قـداسـتـه : « ولـكـن **الآن يبتغون وطناً أفضل ، أي سماوياً ، لذلك لا يستحي بهم الله** أن يُدعى إلههم لأنه أعدَّ لهم مدينة . » (عب ١١ : ١٦)

— وقـد أعطى لنا في هذه المعرفة أن تستنير عيوننا القلبية لكي تشتغل لحساب المسيح وتـلـتـهـب محبتنا له ، لكي نشترك مع القديسين جميعاً في رؤية واحدة لمدى ما قد أعدَّه الله لـنـا مُـسـبَّـقـاً ، لأن هـذا يؤول إلى شهادة واحدة وإلى حرارة مترابطة وإيمان عام نغلب به الـعـالم : « لـيـحـلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم ، **وأنتم متأصِّلون ومتأسسون في المحبة** حتى تستطيعوا **أن تدركوا** مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو **وتعرفوا** محبة المسيح الفائقة (على) المعرفة **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله .** » (أف ٣ : ١٧ — ١٩)

بـالإيـمـان في المحبة ، يحل المسيح في القلب فندخل شركة القديسين ونتأصَّل ونتأسس فيهـا (ككنيسة) ، فتزداد معرفتنا كجماعة عن حب المسيح الفائق أكثر مما للفرد وأكثر مما يظن الواحد أو يفتكر .

وهـنـا يـربـط الـوحي بين مجانية المعرفة المستنيرة بالذهن المستنير كأساس للملء من كل ملء الله **الموهوب** لنا في المسيح !! ملء جماعي وليس فردياً وحسب .

و يـعـود الـقـديـس بـولـس الـرسـول ، لكي يرفع عن عقولنا الخوف من عدم تصديق ضـخـامـة هـذه الـعـطـايا ، فيقول كمختبر وكممارس : « **هو القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا .** » (أف ٣ : ٢٠)

وكـأنـما كل ما يخص الله وكل ما يخص مجده وكل ما يخص الشهادة للمسيح إنما هو عـطـاء في عـطـاء ، وكـلـه مجـاني ، كله بسخاء ، ولا يحتاج إلا لتصديق الحق : « بتقديس الروح وتصديق الحق . » (٢ تس ٢ : ١٣)

— على أنه إذا بدأ الإنسان في كشف مشيئة الله بمؤازرة نعمته الحاضرة دائماً ، فهي لا تـتـوقـف قـط حتى تـبـلغ به « إلى كل ملء الله » (أف ٣ : ١٩) . أليس هو وعداً إلهياً من جـهـة عمل الروح القدس فينا الموهوب لنا مجاناً : « الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله » (١ كو ٢ : ١٠) ، لكي يشترك الإنسان في مجد المسيح كما في آلامه ؟ ألم نأخذ شركة دمه ؟ « كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء » (رو ٨ : ٣١) ؟

ولـكـن إذا تـدخـلـت مشيئة الإنسان وظهر أن غيرته على الكلمة والإنجيل والكنيسة وحتى على مجد الله إنما هي كلها لتزكية نفسه و برّه الشخصي ولحساب كرامته ومجده هو، تـنطفىء المعرفة الصحيحة وتنسحب النعمة ولا يبقى إلا كلام منمق وحياة مزيَّفة : « لأني أشـهـد لهم أن لهـم غـيـرة لله ولـكـن ليس حسب المعرفة (الإلهية) لأنهم إذ كانوا يجهلون (و يتجاهلون) برَّ الله و يطلبون أن يثبتوا برَّ أنفسهم لم يخضعوا لبر الله . » (رو ١٠ : ٢ و ٣)

واضح أن معرفة مشيئة الله تُعطى لتعمل فقط لمجد الله ، فإذا اندست فيها مشيئة الإنسان التي تعمل لحساب الإنسان توقفت معرفة الله التي هي بعمل نعمته لكشف مشيئته الصالحة المرضية الكاملة .

— كذلك كل محاولة للنمو في معرفة مشيئة الله من نحو حياتنا وخلاصنا وحدود تحركنا الروحي إذا خلت من عنصر المحبة كعنصر قائم بذاته ، فإنها تضرُّ ولا تنفع !!! «العلم ينفخ ولكن المحبة تبني... فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف ، ولكن إن كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده (عند الله)» (١ كو٨: ١—٣). فكما نكون معروفين لدى الله ، هكذا يكون الله بالضرورة معروفاً لنا ، وهذه هي قمة النجاح في المعرفة . وحينما يتكون هذا الرباط المقدس فهو يجعل المعرفة تُبنى ، ويحفظها من الإنزلاق نحو تمجيد الذات وخدمة أغراض الناس .

والعكس صحيح ، فإن كل معرفة غاشَّة قائمة على السيطرة والتسلط بالمهارة الشخصية والقدرة والمنطق والحفظ وليست قائمة على النعمة فإنها تقتل المحبة ، فلا تشتمُّ رائحة للمحبة من خلال التعليم ، و يقف التعليم عاجزاً عن أن يبني ، علماً بأن المعرفة الروحية الصحيحة لإرادة الله أو تذوُّق الحب الصادق نحو الله ، على حد سواء ، **يكونان دائماً ردَّ فعل من الإنسان تجاه الله** ، لأن الله هو البادىء دائماً أبداً بعرض محبته و بعرض معرفة مشيئته .

— كما لا بد وأن ندرك «أن الله لم يره أحد قط . الإبن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يو١ : ١٨) ، أي أن معرفة الله المخفية جداً عن كل أذهان بني البشر استُعلنت بواسطة يسوع المسيح الذي صار لنا «**حكمة من الله .**» (١ كو١ : ٣٠)

لذلك أصبح كل علم ومعرفة وفهم وحكمة فيما يخص مشيئة الله نابعاً من المسيح وليس من المتكلم مهما كانت قدراته «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح ربنا ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع ، لأن الله الذي قال (في البدء) أن يشرق نور من ظلمة

هو الذي (الآن) **أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه (πρόσωπον شخص) يسوع المسيح .**» (٢ كو٤ : ٥و٦)

علينا أن نفهم بيقين قول الوحي أن الله كما أشرق نور الخليقة في أول يوم ، هكذا يشرق الله في قلوبنا بالمعرفة الجديدة في شخص المسيح لمجد الله .

هذا الإشراق الأول وهذا الإشراق الثاني هما كليهما على مستوى خيرية الله المطلقة وسخائه الذي لا يُحدُّ ومبادرته دائماً في محبتنا .

هنا ماذا يكون فضل الإنسان الذي انفتح قلبه وذهنه و بدأ يعرف و يستعلن أمور الله وأسرار الحياة وشركة المسيح والروح القدس ، فمهما يكون الإنسان قد مهّد لهذه المعرفة بوسائل عديدة وفي أيام كثيرة ، إلا أنه إذا حصل على هذا الكنز لا يعود يقيس جهده وجهاده وعرقه وتعبه إزاء هذا الحب الغامر الذي يكتشف أنه **كان قائماً فيه قبل أن يسعى إليه !**

و يلاحَظ في عمق كلمة «معرفة الله» أو «أن نكون معروفين عنده» ، كما يستخدمها القديس بولس الرسول بالتبادل ، أنهما يفيدان في العبرانية حالة اتصال سرِّي وثيق كاجتماع الزيجة : «ولم يعرفها حتى ولدت» ، «لم يعرفها رجل» ، فالمعرفة الحميمة المخلصة إذا تكاملت جعلت الإثنين واحداً .

وقد استخدمت كلمة «المعرفة» في المفهوم الإلهي بمعنى الإختيار : «إيَّاكم فقط عرفتُ من جميع قبائل الأرض» (عاموس ٣ : ٢) . وهنا الإختيار يتلازم مع الإقتناء «شعب اقتناء» ، أي من نصيب الرب ، كزوجة حينما تصبح من نصيب الرجل .

والرب يسوع أوضح هذا المعنى التصوفي العميق لكلمة المعرفة الروحية في حديثه الخاص عن الروح القدس وسُكْناه في قلب الإنسان كمصدر المعرفة : «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه (روحياً) ولا يعرفه (لاهوتياً) ، وأما أنتم **فتعرفونه**

لأنه ماكث معكم و يكون فيكم .» (يو١٤: ١٧و١٨)

أي أن مصدر معرفتهم للروح القدس: «**لأنه** ماكث معكم و يكون فيكم». وهنا الإشارة إلى وجود الروح القدس ليس على مستوى السُّكنى في القلب فحسب: «**فيكم**»، بل وعلى مستوى العمل والإرشاد والمعونة أيضاً: «ماكث **معكم**».

وهكذا تنجلي **معرفة مشيئة الله** عن معنى الوجود والعملِ المتبادَل: موجودٌ معنا وفينا ونحن موجودون معه وفيه، أي أنها معرفة أعماق الله وأعماق الإنسان معاً بالروح: «وأما **المعزي الروح القدس** الذي سيرسله الآب باسمي **فهو يعلِّمكم كل شيء** و يذكِّركم بكل ما قلته لكم.» (يو١٤: ٢٦)

وقد استخدم السيد المسيح كلمة «يعرف» بمفهوم التعرُّف على حقيقة المسيح اللاهوتية كابن الله: «قال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدته **ولم تعرفني** يا فيلبُّس. الذي رآني فقد رأى الآب» (يو١٤: ٩). هنا المعرفة تختص بالحقيقة الإلهية، فهي معرفة في جوهر الله وإدراك العلاقة المتساو ية بين الآب والإبن في الله.

فمعرفة الله والأمور الخاصة بالله هي ليست أصلاً من اختصاصنا لكنها ممكنة إن حلَّ الروح القدس فينا وعلَّمنا، فالإنسان الروحي (الحاصل على شركة الروح القدس) هو الذي يستطيع أن يؤمن و يعترف أن «المسيح ربٌّ»، أما الإنسان الطبيعي بالمعرفة الطبيعية فلا يمكن أن يدرك علاقة الآب بالإبن لأنها تختص ١٠٠٪ بالفكر الروحي: و«الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة.» (١كو٢: ١٤)

نخلص من هذا أن معرفة مشيئة الله تتم بالروح، وهي معرفة أعماق تمتد إلى مالانهاية ولكنها تنشىء إتحاداً، وهي تقوم على علاقة شديدة المودة، والحب فيها هوعامل الرباط.

فالذي ير يد أن يعرف مشيئة الله يحتاج إلى عاملين:

الأول: التودُّد للروح القدس؛

الثاني: محبة الله الصادقة.

لأن الدخول في معرفة مشيئة الله الكاملة هو دخول في رابطة حب وإتحاد، حيث تكميل إرادة الله لا يتم من جانب الإنسان وحده، بل يصبح الله بسبب الرضى والمودة والثبوت في المحبة «هو العامل فيكم أن **تر يدوا** وأن **تعملوا** من أجل المسرة.» (في ٢: ١٣)

لهذا ينتهي القديس بولس الرسول فيما يخص الإنسان الروحي الذي فيه روح المسيح أن يقول إنه إذا كان لي روح المسيح فأنا لي فكر المسيح أيضاً!! «وأما نحن فلنا فكر المسيح» (١كو٢: ١٦) على أساس أن الروح القدس يأخذ مما له و يعرِّفنا!!

وما هي غاية اكتمال معرفة الإنسان بالمسيح أو بمشيئة الله؟

بحسب القديس بولس الرسول فإن غاية معرفة الإنسان لله أن يكون الإنسان معروفاً لله:

— «الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عُرفتُ.» (١كو١٣: ١٢)

— «وأما الآن **إذ عرفتم الله بل بالحري عُرفتم من الله**، فكيف ترجعون إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تر يدون أن تُستعبدوا لها من جديد»؟ (غل ٤: ٩)

— «إن كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده.» (١كو٨: ١)

أي أن نهاية معرفة مشيئة الله التي نجهد أن نحصل عليها بمعونة الله، التي يهبها و يعطيها كعطية من عطايا روحه القدوس داخل قلوبنا، هذه المعرفة تكمل عندما نصير نحن معروفين عنده. وبهذا تكون معرفتنا له قد بلغت النضج الصحيح والحب الصحيح وجازت ما يناسبها من الإختبار الصحيح لنصبح على مستوى الله حقاً.

ثم ألا ترى يا صديقي أن هذه هي المعرفة التي ستدوم إلى الأبد حينما يراني الله كما أنا فيرضى، وأليست هذه هي إرادة الله الكاملة: «...إذا أُظهِر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو٣: ٢)؟